

# مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Lebanon – Tripoli: Branche P.O. Box Abou Samra - [www.jilrc.com](http://www.jilrc.com) - [social@journals.jilrc.com](mailto:social@journals.jilrc.com)



[ISSN 2311-5181](http://www.jilrc.com)

[DOI Prefix:10.33685/1316](https://doi.org/10.33685/1316)

العام العاشر - العدد 94 - فبراير 2023



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة عالميا تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

### اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع مركز جيل البحث العلمي، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

### مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

### هيئة التحرير:

- أ.د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر)  
أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)  
أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة 2، الجزائر)  
د. حنان شعشوع محمد الشّهري (جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية)  
د. صونيا عيواج (جامعة باتنة 1، الجزائر)  
د. يزيد شويعل (جامعة المدية، الجزائر)  
د. يوسف جاب الله (جامعة المدية، الجزائر)

### التدقيق اللغوي:

- د. عبلة حسن (جامعة لينكولن، نبراسكا، الولايات المتحدة الأمريكية)  
د. فاتن عدّي (جامعة قسنطينة، الجزائر)

### رئيس اللجنة العلمية: أ.د. سامية شينار (جامعة باتنة 1، الجزائر)

### اللجنة العلمية:

- أ.د. أبكر عبد البنات آدم (جامعة بحري، السودان)  
أ.د. باللموشي عبد الرزاق (جامعة الوادي، الجزائر)  
د. بن حجوبة حميد (جامعة مستغانم، الجزائر)  
د. زين العابدين عبد الحفيظ (جامعة خميس مليانة، الجزائر)  
د. عبد الله ملوكي (جامعة سطيف 2، الجزائر)  
د. علة المختار (جامعة الجلفة، الجزائر)  
د. محمد البشير رازقي (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس)  
د. نجوى نايف عبد النبي شكوكاني (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)  
د. هاني إسماعيل رمضان (جامعة جيسون، تركيا)

### أعضاء اللجنة التحكيمية الاستشارية لهذا العدد:

- أ.د. صالح نهيروهي (جامعة واسط، العراق).  
د. إبراهيم إسماعيل عبده محمد (جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية).  
د. إخلص محمد عبد الرحمن (جامعة الجزيرة، السودان).  
د. أسماء سالم علي عربي (الجامعة الأسمرية، ليبيا).  
د. اليسع حسن أحمد (جامعة طرابلس، ليبيا).  
د. بن حجوبة حميد (جامعة مستغانم، الجزائر).  
د. سعيد علي (جامعة نغاونديري، الكاميرون).  
د. شّاللي لخضر (المركز الجامعي آفلو، الأغواط، الجزائر).  
د. لطيف نجاح شهيد القصاب الفتلاوي (جامعة كربلاء، العراق).

# شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر في الوقت نفسه، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
  - عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.
  - اسم الباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها، باللغة العربية والإنجليزية.
  - البريد الإلكتروني للباحث.
  - ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12، باللغة العربية والإنجليزية.
  - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
  - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
  - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
  - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

**ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:**

**social@journals.jilrc.com**

## الفهرس

### الصفحة

6

- الافتتاحية 7
- مستقبل الكتاب المدرسي في عصر تكنولوجيا التعليم، نبيل السعيدي - عبد الله بن عتو (جامعة محمد الخامس، المغرب). 9
- التربية البدنية والرياضية ودورها في التقليل من ظاهرة العنف المدرسي لدى المتعلم المراهق: دراسة نفسية اجتماعية، هشام الدقوني (جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب). 31
- قواعد التّعامل مع الأوبئة في ضوء السُّنة النَّبويّة، منصور محمد أحمد يوسف (جامعة المدينة العالمية، ماليزيا)، أحمد عبد الرحمن عبد العزيز الشّيحة (جامعة عمان العربية، الأردن). 59
- تدير أخطار الحركات الكتلية بفرنسا: نحو صياغة خطة وطنية خاصة بتدبير الأخطار الطبيعية بالمغرب، ظريف جواد (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، المغرب). 73
- شكاوى والتماسات اليهود إلى الخلفاء الفاطميين بمصر من خلال وثائق الجنيزة، محمد جمعة عبد الهادي موسى (جامعة القاهرة، مصر). 97

## الافتتاحية

7

بسم الله المولى الأجلّ سبحانه له الحمدُ في الأولى والآخرة، نستفتحُ بالذي هو خير، ربنا عليك توكلنا وإليك

أنبنا وإليك المصير.

يسر أسرة تحرير مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية أن تضع بين أيديكم العدد الرابع والتسعين

(94)، والذي تضمّن مجموعة من الدراسات الأكاديمية العلمية الرصينة والمتنوعة مما يدلّ على القيمة

العلمية التي صارت تحوزها.

وكعادتها تسعى المجلة منذ تأسيسها إلى أن تكون منبراً متاحاً لجميع الباحثين والمنشغلين بحقول المعرفة من

مختلف الأجيال والتوجهات الفكرية، وما كان لها أن تصل إلى ما بلغت لولا بحوثكم ومقالاتكم المنشورة، كما

لا ننسى هيئة التحكيم والطاقم القائم على التدقيق وإخراج المجلة في شكلها النهائي، فلکم منا فائق التقدير

والاحترام.

**والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،،،**

**رئيس التحرير / د. جمال بلبكي**

**تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية  
لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز  
© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي**

## مستقبل الكتاب المدرسي في عصر تكنولوجيا التعليم

### The future of textbooks in the age of educational technology

نبيل السعيدي، د. عبد الله بن عتو/كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، المغرب

NABIL ESSAIDI, Dr. ABDELLAH BENATTOU (Faculty of education sciences, University of Mohammed V, Morocco)

#### Abstract:

The Covid-19 pandemic has made various educational systems feel the importance of educational technology as a priority and not an educational luxury, and they have begun to accelerate the pace of integrating information and communication technology into the classroom. And work on renewing teaching and learning tools and equipment. This is what made us do this study in order to identify the reality and prospects of the textbook in light of educational technology. And to identify the trends of practicing teachers in primary educational institutions, towards the process of digitizing textbooks. Then look at the extent to which primary education teachers employ paper textbooks and educational technology in their classroom During the different periods of education: planning, management, evaluation, and support. Finally, he inventory the obstacles that prevent the employment of educational technology in the classrooms, by surveying the opinions of the professors as they are the center piece of the teaching process.

**Keywords:** Textbook, educational technology, digitizing the textbook.

## ملخص:

جعلت جائحة كوفيد-19 مختلف الأنظمة التربوية تستشعر أهمية تكنولوجيا التعليم، باعتبارها أولوية وليست ترفاً تربوياً، وشرعت تُسرّع من وتيرة إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال بالفصول الدراسية، وازدادت الجهود التي تعمل على تجديد وسائل وأدوات التعليم والتعلم بمختلف أنواعها. وهو ما جعلنا نقوم بهذه الدراسة من أجل التعرف على واقع وأفاق الكتاب المدرسي في ظل تكنولوجيا التعليم، والتعرف على اتجاهات الأساتذة الممارسين بالمؤسسات التعليمية الابتدائية، نحو عملية رقمنة الكتب المدرسية، ثم الوقوف على مدى توظيف أساتذة التعليم الابتدائي تكنولوجيا التعليم في أقسامهم الدراسية، خلال فترات التعليم المختلفة: التخطيط، والتدبير، والتقويم، والدعم، وأخيراً جرد العراقيل التي تحول دون توظيف تكنولوجيا التعليم في الأقسام الدراسية، وذلك من خلال استطلاع آراء الأساتذة باعتبارهم قطب الرحى في عملية التدريس.

الكلمات المفتاحية: الكتاب المدرسي، تكنولوجيا التعليم، رقمنة الكتاب المدرسي.

## مقدمة:

من البديهي القول أن العالم في السنوات الأخيرة، عرف ثورة تكنولوجية هائلة لم يسبق لها مثيل، شملت مختلف الميادين والحقول العلمية والمعرفية، ولازالت هذه الثورة آخذة في الانتشار في عصرنا الحالي، على صعيد كافة المجالات، ومن بينها الحقل التربوي، حيث اقتحمت تكنولوجيا الإعلام والاتصال المدرسة، عبر ما تُقدمه من تقنيات معلوماتية ووسائل تعليمية رقمية تهدف إلى الارتقاء بالعملية التربوية وتجويدها، بل إن تطور وتقدم النظم التعليمية بات يُقاس بدرجة إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال في برامجها ووسائل وأدوات اشتغالها، هذا الاختراق الذي عرفته المدرسة من طرف التكنولوجيا لم يعد مقتصرًا على الوسائل التعليمية فقط، وإنما شمل منظومة التربية والتكوين برمتها حتى ظهر ما يعرف اليوم بتكنولوجيا التعليم.

وقد برزت أهمية تكنولوجيا المعلومات والاتصال بشكل جلي مع تفشي فيروس كوفيد-19 والذي صنفته منظمة الصحة العالمية كجائحة عالمية، حيث سارعت العديد من البلدان ومن بينها المغرب إلى غلق المدارس، وتعليق الدراسة الحضورية في جميع المؤسسات التعليمية، ما دفع سلطات التربية والتكوين إلى البحث عن حلول بديلة لضمان الاستمرارية البيداغوجية، فجاءت تكنولوجيا المعلومات والاتصال لتقدم نفسها كحل للأزمة عبر نمط التعليم عن بعد، إلا أن ذلك واجهته صعوبات وعراقيل تقنية في العديد من الدول، أبرزها

عدم توفر جميع المتعلمين على وسائل وأدوات تقنية للاتصال أو ضعف الربط بشبكة الأنترنت...وتجاوزا لهذا المشكل، عملت وزارة التربية الوطنية بالمغرب على طبع الكتب المدرسية الورقية، وتوزيعها على المتعلمين في هذه المناطق وقد تمت عملية التوزيع بشكل مجاني، واستفاد من ذلك مليون تلميذ وتلميذة يتابعون دراستهم بالمستويات الست لسلك التعليم الابتدائي بالمناطق النائية في المجال القروي.<sup>1</sup>

صحيح أن جائحة كوفيد-19 بينت لنا بما لا يدع مجالاً للشك، أهمية وألوية إدماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال في المنظومة التربوية، لكنها أبرزت في الوقت نفسه، أهمية الكتاب المدرسي بشكله الورقي، وصيغته الرقمية أيضاً، فقد قام العديد من الفاعلين التربويين بتحويل الكتب المدرسية الورقية إلى نسخ رقمية للاستعانة بها في عمليات التدريس عن بعد، باعتباره الخيط الناظم للتعلّمات، والذي يشكل وثيقة مرجعية وخارطة طريق طيلة السنة الدراسية بالنسبة للمتعلّم والمدرس على حد سواء، بل إن هناك من يعتبر أن الكتاب المدرسي في شكله الورقي، ورغم التطور التكنولوجي، يظل الأداة الأكثر استخداماً والأكثر فعالية لتحقيق التعلّم.<sup>2</sup> كل ذلك يجعل من الكتاب المدرسي مجالاً خصباً للدراسة والبحث العلمي بشكل مستمر، من أجل الوقوف على واقعه الحالي ورهاناته المستقبلية في ظل ثورة تكنولوجية مستمرة في الإبداع والابتكار حتى وقتنا الراهن.

### الإشكالية:

دفعت جائحة كوفيد-19 العديد من النظم التربوية عبر العالم إلى تسريع وتيرة عملية إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال في منظوماتها التربوية، ومن بينها المغرب، حيث نجد مختلف النصوص والوثائق التربوية المرجعية الرسمية، نصت بشكل صريح على توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال في مجال التربية والتكوين، بدءاً من الميثاق الوطني للتربية والتكوين وليس انتهاءً بالقانون الإطار (51.17) الذي نصّ في المادة (33) على ضرورة تطوير موارد ووسائل التدريس والتعلّم والبحث في منظومة التربية والتكوين، والعمل على تعزيز إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للنهوض بجودة التعلّمات وتحسين مردوديتها.

إن هذه المسارعة في إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال بمنظومة التربية والتكوين، بعد الجائحة العالمية التي سببها فيروس كوفيد-19 تجعلنا نتساءل عن واقع وأفاق بعض الوسائل التعليمية التقليدية، وأبرزها

<sup>1</sup> <https://www.maroc.ma/ar/1> توزيع-كراسات-للدعم-التربوي-والتعلم-الذاتي-مجانا-على-مليون-تلميذ-وتلميذة-بالمناطق-النائية-خلال/أخبار

<sup>2</sup> ROGEIRS Xavier et Gérard François-Marie, 2009, Les manuels scolaires pour apprendre: Concevoir, évaluer, utiliser, Edition : De Boeck Université, Bruxelles-Paris.

الكتاب المدرسي، هذا الأخير هناك من يرى أنه في شكله التقليدي، يظل الأداة الأكثر استخداماً والأكثر فعالية لتحقيق التعلم، رغم التطور التكنولوجي<sup>1</sup>، في حين هناك من يعتبر أن مكانة الكتاب المدرسي في صيغته الورقية التقليدية أصبحت مهددة، خاصة في ظل التطور الكبير لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، واقتحامها للمجال التربوي واتجاه العديد من الأنظمة التربوية إلى رقمنة الموارد التعليمية وإبداع موارد رقمية أخرى لمواكبة التطور المعلوماتي والتكنولوجي الكبير، خاصة وأن متعلمي اليوم، ليسوا كتلاميذ الأمس فهم ينشؤون على التعامل مع منتجات التكنولوجيا الحديثة، "ومن الضروري في هذا الصدد أن يأخذ بعين الاعتبار كون أكثر من نصف المتعلمين يمكنهم الوصول إلى الوسائط المتعددة قبل الالتحاق بالمدرسة"<sup>2</sup> الشيء الذي يجعل من عملية التعليم قد تبدو مملة في ظل اعتماد طرائق ووسائل للتدريس والتعلم، لا تستجيب لتطلعات متعلم القرن الواحد والعشرين، الذي يولد في مجتمع المعرفة، وبالتالي فإن الكتاب المدرسي أضحت رقمته مسألة ملحة في ظل عالم يتغير ويتطور بشكل متسارع، ومهدد بأخطار بيولوجية وبيئية وصناعية قد تجعل من التعليم الحضوري في المستقبل مهدداً، ما يفرض رقمنة الموارد التعليمية وعلى رأسها الكتاب المدرسي، لنكون مستعدين لأي طارئ مستقبلاً. ومن هنا نطرح الأسئلة الآتية:

ما درجة توظيف الأساتذة للكتاب المدرسي ولتكنولوجيا التعليم في عمليتي التعليم والتعلم؟

ما هي اتجاهات الأساتذة نحو رقمنة الكتاب المدرسي؟ وما هي فرص ورهانات عملية رقمنة الكتب المدرسية؟

مفاهيم الدراسة:

أ. مفهوم الكتاب المدرسي:

الكتاب المدرسي يتألف من كلمتين: "الكتاب" وهو عبارة عن "مطبوع غير دوري، لا تقل عدد صفحاته عن (49) صفحة، عدا الغلاف وصفحة العنوان"<sup>3</sup> أما بالنسبة لمصطلح "المدرسي" فهو يعني ببساطة كل ما يتصل بالأماكن التي يقدم فيها التعليم والتعلم، أو لها علاقة مباشرة بالمؤسسات التعليمية. وهكذا، سنصل من خلال الجمع بين هذين المصطلحين، إلى مفهوم يشير إلى عمل مطبوع، صغير الشكل، يمكن حمله وتوظيفه يدوياً في سياق مدرسي، لتحقيق أهداف تعليمية تعليمية.

1 المرجع السابق.

2 المدرسة، التكنولوجيا الجديدة والرهانات الثقافية، المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، يوليو 2014، ص34.

3 خليفة شعبان عبد العزيز، المحاورات في مناهج البحث في علم المكتبات والمعلومات. دار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2004، ص25.

وقد عزّفه أحد أبرز من اهتموا بدراسة الكتاب المدرسي بأنه "مطبوع منظم موجه للاستعمال داخل عمليات التعلم والتكوين المتفق عليها"<sup>1</sup>.

وعلى المستوى الديدكتيكي يعتبر الكتاب المدرسي عملاً ديدكتيكياً يُستخدم كدعامة يعتمد عليها المدرس في عملية التعليم.<sup>2</sup> غير بعيد عما سبق، يُعرف جوزيف بوث الكتاب المدرسي باعتباره كتاباً لتعلم مجزأ ومرتج، بمقاطع زمنية يومية أو أسبوعية، ومبنية تبعاً لقدرات الانتباه لدى الطفل.

وبناءً عليه، يمكننا تعريف الكتاب المدرسي باعتباره وسيلة تعليمية تعلمية، تفي بمتطلبات البرنامج المدرسي ويقدم محتوياته وفق منهجية ديدكتيكية معينة، ويعرض مضامينه بأشكال مختلفة (الصور الفوتوغرافية، المخططات، الخرائط، النصوص) يستخدمه المدرس والمتعلمون، أثناء عملية التدريس/التعلم من أجل بناء مجموعة من المعارف والمهارات والقيم، بشكل منظم ومرتج، حسب جدول زمني محدد مسبقاً، وقد يأتي الكتاب المدرسي بصيغة ورقية أو رقمية أو تفاعلية.

#### ب. مفهوم الكتاب المدرسي الرقمي:

تعددت المسميات والتعاريف التي أعطيت للكتاب المدرسي الرقمي، فثمة من يصفه بالحقبة الإلكترونية أو الحقبة الرقمية، هذه التسمية انتشرت في أوساط وسائل الإعلام والمجتمع بشكل عام والمجتمع التربوي بشكل خاص، ويمكن تفسير هذا الانتشار الكبير لهذه التسمية والنجاح الذي حظيت به، إلى الرغبة الكبيرة في رؤية المتعلمين يحملون حقائق مدرسية أخف وزناً، مع ذلك، لا يزال المتعلمون والمتعلمات، حتى بعد تزويدهم بكتب مدرسية رقمية في بعض البلدان، يواصلون استخدام الحقائق المدرسية التقليدية التي تضم أغراضهم الضرورية في الحياة المدرسية اليومية مثل: المقلمة، الدفاتر، الوجبات الخفيفة.. وبالنسبة لنا، فإن الكتب المدرسية الرقمية المطورة تنتهي إلى نماذج جديدة من الكتب المدرسية، ولا يمكن اعتبارها حقبة مدرسية قائمة بذاتها، لذلك، نفضل تسمية الكتاب المدرسي الرقمي لأنها تعد أكثر دقة وتمييزاً بين الكتاب المدرسي الورقي والرقمي وبين الحقبة المدرسية.

وقد عرّف الكتاب المدرسي الإلكتروني صيغتين أو شكلين من الإخراج الرقمي، يمكن تلخيصهما على الشكل الآتي:

1RICHAUDEAU François, Conception et production des manuels scolaires, Ed Unesco. Paris. 1979, P51.

2Cuq, Jean-Pierre, Dictionnaire. Le Petit Robert, 2003, Dictionnaire. - Cuq, J.-P. 2003.P161.

-الكتاب الإلكتروني النصي المصور: هذا النوع من الكتب الإلكترونية يحتوي عددا كبيرا من الفقرات والنصوص، وقد يضم صورا ورسوما تخطيطية جامدة غير تفاعلية، وقد يتشابه في مكوناته إلى حد كبير، مع الكتاب المدرسي الورقي، إلا أنه يتميز بوجود الفهارس وخدمة البحث، ويمكن قراءته باستخدام الحاسوب المحمول أو الهواتف الذكية أو اللوحات الإلكترونية.<sup>1</sup>

-الكتاب الإلكتروني التفاعلي: يتكون من عدة صفحات، يمكن للمتعلم استعراضها بشكل يشبه الكتاب الورقي، وتحتوي كل صفحة على مجموعة من الوسائط المتعددة (نص، أصوات، صور ورسومات، مقاطع فيديو)، ويمكن للمتعلم التفاعل مع الوسائط المتعددة في كل صفحة من خلال مشاهدة الصور ومقاطع الفيديو، والاستماع إلى الأصوات المخزنة المرتبطة بالموضوع المدروس، كما يمكن للمتعلم إضافة الملاحظات والتعليقات على هوامش الكتاب، وفي حال الاتصال بشبكة الإنترنت، يستطيع المستخدم حل الواجبات المدرسية التي توجد في الكتاب، ثم تسليمها للمدرس عبر البريد الإلكتروني.<sup>2</sup>

في حين يعرفه باسكال غوسان<sup>3</sup> على الشكل الآتي: "الكتاب المدرسي الرقمي، أداة تدريس موجهة لكافة المتعلمين ولل فريق التربوي وأولياء المتعلمين، ويتيح جمع كل البيانات اللازمة للنشاط المدرسي في صيغة رقمية. وكتعريف إجرائي للكتاب المدرسي الرقمي، نقول أنه عبارة عن كتاب مدرسي غير مادي، يخضع لمقتضيات المنهاج وينضبط لمتطلبات النقل الديدانكتيكي، ويمكن استخدامه عن طريق حاسوب أو قارئ رقمي (هاتف ذكي، لوحات إلكترونية)، ويتميز بسمات تفاعلية بين المتعلم والمضامين التي يزخر بها، التي يمكن أن تأتي وفق صيغ وأسناد مختلفة؛ (فيديوهات، نصوص، صور، أصوات، خرائط..). الهدف منها بناء التعليمات.

### ج. مفهوم تكنولوجيا التعليم:

لقد تعاقبت المصطلحات التي تم إطلاقها للإشارة للتكنولوجيات الحديثة المستخدمة في التربية والتعليم، ففي السبعينيات من القرن الماضي، طغى مصطلح (المعلومات) قبل أن يظهر لاحقا مصطلح (الوسائط المتعددة). ومع انتشار استخدام الأنترنت مطلع الألفية الثانية، ظهر مصطلح "تكنولوجيا المعلومات والاتصال الحديثة"، وسيطر على ساحة النقاش والتفكير العلمي والتربوي، شيئا فشيئا، تم إسقاط صفة (الحديثة) وانتشر الاختصار التالي (تكنولوجيا المعلومات والاتصال)، واستحدث مصطلح (تكنولوجيا المعلومات

1 محمد زمراني، الكتاب المدرسي من الإخراج الورقي إلى الإخراج الرقمي. (سنة النشر غير معروفة). ص.10.

2 نفس المرجع السابق. ص.10.

3Gossin,p.La lecture numérique : réalités, enjeux et perspectives, 2007.

والاتصالات) للدلالة على توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التعليم وأثارها الإيجابية على العملية التعليمية التعلمية، قبل أن يتم استخدام مصطلح (تكنولوجيا التعليم) على نطاق واسع.

وقد ظهر مفهوم تكنولوجيا التعليم متأخرا نسبيا عن ظهور مصطلح الوسائل التعليمية، وذلك عندما امتد هذا المفهوم ليشمل الاستراتيجيات التعليمية بمختلف أركانها، ولم يعد مقتصرًا على الأدوات والأجهزة الموظفة في عمليتي التعليم والتعلم، غير أن مصطلحات من قبيل تكنولوجيا التربية والتعليم والوسائل التعليمية، يتم استخدامها أحيانا باعتبارها مرادفات وهو ما يستدعي منا القيام بوقفه من أجل الضبط المفهومي للمصطلحات والتمييز بين مفهوم تكنولوجيا التعليم والمفاهيم الأخرى التي تتداخل معه.

-تكنولوجيا التربية: هي طريقة منهجية في التفكير والممارسة تجعل العملية التربوية نظاما متكاملًا، يتم خلاله تحديد المشكلات التي تتصل بجميع جوانب التعلم الإنساني، وتحليلها وإيجاد الحلول الملائمة لتحقيق الأهداف التربوية.<sup>1</sup>

وبناء عليه، يمكن القول أن تكنولوجيا التربية مفهوم يتسم بالعمومية والشمولية، حيث نجده يستمد أصوله وأساسه من التربية بمفهومها الواسع، في بعدها العلائقي مع تكنولوجيا التعليم، هذه الأخيرة تشكل عضوا من جسد تكنولوجيا التربية وأجراً عملية لها.

-تكنولوجيا التعليم: يرى (تشارلز هوبان) أن تكنولوجيا التعليم هي تنظيم متكامل، يضم الإنسان، والآلة والأفكار والآراء، وأساليب العمل، والإدارة بحيث تعمل جميعا داخل إطار واحد.<sup>2</sup>

في هذا السياق، تجدر الإشارة أن تكنولوجيا التعليم قد قطعت مراحل مختلفة قبل أن تصبح ضرورة من الضرورات لضمان نجاح النظم التعليمية، ويمكن تحديد مراحل تطور هذا العلم في أربع مراحل رئيسية:<sup>3</sup>

- المرحلة الأولى: استنادا للحواس، (التعليم السمعي، التعليم البصري، التعليم السمعي البصري، التعليم بالاعتماد على كافة الحواس).

- المرحلة الثانية: الوسائل التعليمية كمعينات للتدريس (وسائل الإيضاح).

1 العطية محسن علي، تكنولوجيا الاتصال في التعليم الفعال، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ص 22.

2 الفريجات، غالب عبد المعطي، مدخل إلى تكنولوجيا التعليم، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الأردن، 2014، ص 95.

3 الفرا، عبد الله عمر، تكنولوجيا التعليم والاتصال، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 1999، ص 125.

- المرحلة الثالثة: استنادا لنظريات الاتصال، الوسائل التعليمية وسيط بين المعلم (المُرسل) والمتعلم (المستقبل) وتجدر الإشارة أن مفهوم الاتصال أضاف إلى العملية التعليمية التعلمية مفهوم العمليات، وبذلك أصبح الاهتمام بطرق التعليم أكثر من الاهتمام بالمواد والأجهزة والوسائل.
- المرحلة الرابعة: الوسائل التعليمية جزء من منظومة التعليم (منظومة متكاملة ومصممة لأغراض محددة).

إجرائيا، يمكن القول بأن تكنولوجيا التعليم هي عملية الاستفادة من منتجات التكنولوجيا الحديثة لتطوير عملية التعليم والتعلم، على مستوى التخطيط والتدبير والتقويم والدعم، بغية تحسين جودة سيرورة التعليم والتعلم، ورفع فعاليتها ومردوديتها.

-الوسائل التعليمية: هي جزء من تكنولوجيا التعليم. ويعرفها كيندر (Kinder)، على أنها تلك الأدوات والطرق التي يستخدمها المدرس خلال المواقف التعليمية، مع مراعاة أنها مجرد وسائل، وليست غايات بحد ذاتها.<sup>1</sup>

#### د. التمييز بين تكنولوجيا التعليم والتربية والوسائل التعليمية:

مفهوم تكنولوجيا التعليم أوسع بكثير من مجرد استخدام الآلات والمعدات التقنية في التعليم، فبينما ينحصر مجال الوسائل التعليمية في التدريس، يتسع مجال تكنولوجيا التعليم ليشمل البيئة التعليمية برمتها، في بعدها المعنوي والمادي، وتصميم الموقف التعليمي بجميع مدخلاته ومخرجاته وعملياته المختلفة، فضلا عن المناهج الدراسية، والكتب المدرسية، وأشكال أجرائها على أرض الواقع، مما يجعل مفهوم الوسائل التعليمية، قاصرا عن القيام بكل هذه الوظائف والمتطلبات.

وفي هذا الصدد، وجب التأكيد على أن تكنولوجيا التعليم ليست مجرد آلات أو أفراد أو أساليب فقط، وإنما هي تشكيل وتفاعل منظم ومتكامل من هذه العناصر جميعا، يهدف إلى تحديد المشكلات التعليمية والبحث من أجل إيجاد الحلول المناسبة ثم العمل على تنفيذها وتحليلها وإدارتها، وتقويمها.

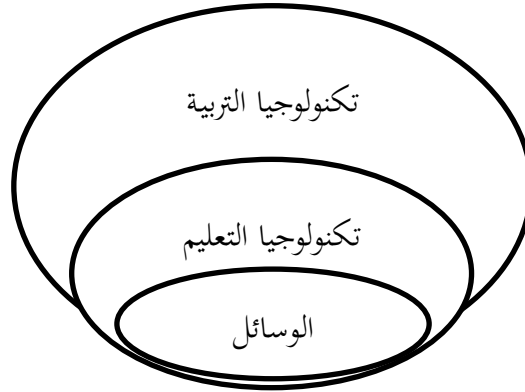
أما تكنولوجيا التربية، فهي منظومة ثلاثية الأبعاد؛ البعد الأول يتجلى في كونها بناء نظري من الأفكار والمبادئ، والبعد الثاني يشمل مجال العمل الذي يتم من خلاله أجرأة الأفكار والمبادئ النظرية على أرض

1 الفريجات، غالب عبد المعطي، مدخل إلى تكنولوجيا التعليم، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الأردن، 2014، ص 35.

الواقع، أما البعد الثالث، في تمثل في كونها مهنة يؤديها مجموعة من الممارسين، بحيث يعملون على تنفيذ الوظائف والمهام التي تروم تحقيق أهداف العملية التربوية.

وتمثل تكنولوجيا التعليم البعد الثاني من هذه المنظومة، وهذا يعني أن تكنولوجيا التعليم ما هي إلا جانب إجرائي ومجال عمل يتم من خلاله تطبيق الأفكار والمبادئ التي تقوم عليها تكنولوجيا التربية. ومن ثمة، فإن موطن الاختلاف بين المفهومين هو درجة العمومية أو التخصص. في حين تشكل الوسائل التعليمية جزءاً لا يتجزأ من تكنولوجيا التعليم.

### رسم توضيحي للعلاقة بين تكنولوجيا التربية وتكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية



#### أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تعرف:

1. مكانة الكتاب المدرسي الورقي وتكنولوجيا التعليم، ودرجة توظيفهما من طرف مدرسي التعليم الابتدائي في مختلف فترات التعليم والتعلم.
2. اتجاهات مدرسي التعليم الابتدائي نحو عملية رقمنة الكتاب المدرسي.
3. الفرص والرهانات التي تطرحها عملية رقمنة الكتب المدرسية.
4. العراقيل التي تحول دون عملية تعميم تكنولوجيا التعليم بالفصول الدراسية.

#### حدود الدراسة ومحدداتها:

-الحدود الموضوعية : درجة توظيف الكتاب المدرسي وتكنولوجيا التعليم في مختلف فترات التدريس واتجاهات الأساتذة نحو عملية رقمنة الكتاب المدرسي.

-الحدود البشرية: أساتذة التعليم الابتدائي بالمؤسسات التعليمية الابتدائية العمومية بمدينة الرباط.

-الحدود الزمنية : السنة الدراسية 2021-2022.

-الحدود المكانية: مؤسسات التعليم المدرسي الابتدائي العمومي، التابعة للمديرية الإقليمية بالرباط.

### الإطار النظري:

#### رهانات الكتاب المدرسي الرقمي:

#### 1.الرهانات البيداغوجية و الديداجتكية للكتاب المدرسي الرقمي:

لقد كان الكتاب المدرسي الورقي محط جدل ونقاش في أوساط الفكر التربوي المعاصر، حيث تم تصنيفه من طرف البعض بين أهم الوسائل التعليمية وأكثرها انتشارا واستخداما على الإطلاق مثل (روجيرز، جيرارد، 2009).

في حين اعتبره البعض الآخر، وخاصة أصحاب التوجه البيداغوجي المتمركز حول المتعلم، وحول التعلم عن طريق البحث والاكتشاف والإنتاج، كسيلستين فريني، أقل قيمة وفعالية بين الوسائل التعليمية الأخرى.

وقد ازداد النقاش بخصوص مردودية الكتاب المدرسي بشكله الورقي التقليدي في زمن الثورة المعلوماتية التي نعيشها، ومن بين الانتقادات الموجهة له، هو غياب القدرة على تقديم التغذية الراجعة، التي من شأنها تعزيز استقلالية المتعلم وتنمية مهارات التعلم والتقييم الذاتي، فنادرا ما نجد كتب مدرسية تتضمن أجوبة نموذجية يمكن للمتعلم اللجوء إليها من أجل التصحيح الذاتي للتمارين والتطبيقات الكتابية.

ومن هنا جاءت فكرة كتاب مدرسي رقمي، من شأنه أن يتيح الإمكانية للمدرسين لتخطيط الحصص الدراسية وتديورها، بما يتوافق مع الاحتياجات والقدرات الفردية للمتعلمين، ووفقاً لإيقاعاتهم واستراتيجياتهم في التعلم، فضلا عن سهولة جمع معلومات عن التحصيل الدراسي، وعن التعثرات والصعوبات التي يعاني منها كل متعلم على حدة، وبذلك تكون الرقمنة من جهة؛ وسيلة تساعد المدرس على الارتقاء بجودة كافة العمليات المرتبطة بالتعليم والتعلم من تخطيط وتديور وتقييم ودعم، ومن جهة ثانية؛ تسمح للمتمدرسين بالتعلم بوسائل وأدوات إلكترونية تنتهي لعصرهم.

إن الكتاب المدرسي الورقي بشكله التقليدي، يتم تأليفه وتصميمه وفق فكرة مسبقة على أنه موجه لجماعة المتعلمين، دون معرفة حقيقية بانتظاراتهم وخصائصهم، التي تختلف من متعلم إلى آخر، وتتطور بشكل مستمر، خاصة ونحن على دراية بأن جماعة القسم تشكل من متعلمين يختلفون على المستوى الحس-حركي والمعرفي والذهني، فضلا عن الاختلاف في البيئة السوسيوثقافية، وبما أن المدرس هو الذي يتفاعل ويحتك مع متعلميه بشكل يومي، وعلى اطلاع بحاجاتهم وقدراتهم، فإنه من خلال الكتاب المدرسي الرقمي، سيتمكن من اقتراح وتعديل الأنشطة التعليمية التعليمية بشكل مستمر بما يتلاءم مع المنهاج الدراسي، ويتناسب مع المتعلمين والمتعلمات معرفيا ووجدانيا ونمائيا.

من الجانب الديداكتيكي، يشكل الكتاب المدرسي الورقي عائقا أما المدرس لتطبيق وتزليل منهجية تدريسية ملائمة لطبيعة المتعلمين، صحيح أن الكتاب المدرسي ليس إلا فرضية لتصريف المنهاج، لكن الكثير من المدرسين يعتمدون عليه بشكل حصري كوثيقة مرجعية في إعداد وتقديم الدروس لمتعلميهم، غير أن الكتاب المدرسي الرقمي الذي يتيح للأستاذ التعديل والتكييف المستمر للأنشطة والمضامين الدراسية، يُسهّل عملية بناء التعلّيمات وفق ما يلائم المتعلمين على المستوى المعرفي والسوسيوثقافي.

هذا دون إغفال أهمية الكتب المدرسية الرقمية في الربط بين التعلم واللعب، حيث تتيح هذه النوعية من الكتب المدرسية التفعيل الأمثل للبيداغوجيا اللّعب، عبر ما تتضمنه من ألعاب رقمية لها أهداف تربوية وتعليمية، خاصة ونحن نعلم مدى ارتباط وتعلق الأطفال بالألعاب الإلكترونية، مما يجعل التعلم ممتعا ومشوقا، بعيدا عن أجواء التلقين السلبي.

## 2. الرهانات الاقتصادية:

يبدو من الواقع التعليمي أن الكتاب المدرسي هو الوسيلة الديداكتيكية الأكثر ملاءمة لتوسيع التعليم وانتشاره، لكن من الناحية الاقتصادية، فهو مكلف للغاية، فإن إنتاج الكتب المدرسية الورقية يستلزم تمويلا ضخما من ميزانيات التجهيز التربوي في كل دولة من دول العالم، ويمكن أن يصل الغلاف المالي المخصص لذلك الإنتاج إلى (85%) في بعض الدول من مجموع ميزانية التجهيز التربوي.<sup>1</sup> وهو ما يقلص كثيرا من إمكانية التغيير أو التعديل الدوري للكتاب المدرسي الورقي حسب مقتضيات الضرورة البيداغوجية، وهذا ما يمكن أن يؤثر سلبا على نتائج التدريس، فمجالات المعرفة ومعطيات البحث البيداغوجي تتطور بسرعة.

كما أن تخفيف وزن الحقيبة المدرسية، يعتبر حاجة ملحة ومطلبا قديما لكافة المتدخلين في العملية التربوية، وهي الحاجة التي أعربت عنها الجهات المعنية بوضوح (أساتذة، مفتشون، وآباء وأولياء المتعلمين)

1منصف عبد الحق، رهانات البيداغوجيا المعاصرة، دراسة في قضايا التعلم والثقافة المدرسية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007، ص255.

بسبب الأضرار الصحية لثقل الحقيبة المدرسية على المتعلمين<sup>1</sup> وقد طُرحت أفكار عديدة لتحقيق هذه الغاية، منها نزع الطابع المادي من الكتاب المدرسي وإنشاء كتب مدرسية رقمية، تحمل مواد ومضامين تعليمية رقمية وتفاعلية، وهناك مقترح آخر يتعلق بالكتاب المدرسي المزدوج: أحدهما في المؤسسة، والآخر في المنزل، وبالتالي لا يظل المتعلم بحاجة لحمل الكتب المدرسية في حقيبته مما يشكل عبئا عليه، غير أن هذا الحل قد يحظى بقبول لدى الناشرين، على اعتبار أنهم سيجنون من ورائه أرباحا مادية أكبر من خلال تسويق الكتب المدرسية المزدوجة، غير أنه سيكون مرهقا للقدرة الشرائية للمواطنين، فضلا عن سلبياته البيداغوجية المتعددة.

ومن هنا جاء الرهان على الكتب المدرسية الرقمية، من الجانب الاقتصادي، نجد الانخفاض الكبير في نسبة الاستهلاك الورقي بالمؤسسات التعليمية "وطبقا للمعلومات التي قدمها المركز الفرنسي لاستغلال حقوق الطبع، فإن (80%) من النسخ في ميدان التربية والتعليم تكون من أجل طباعة الكتب المدرسية"<sup>2</sup> ورقمنة هذه الأخيرة، تسمح بإنجاز مختلف الأنشطة التعليمية التعليمية رقميا، دون الحاجة لدفاتر أو كراسات ورقية، مما يساهم في خفض استهلاك الورق في الفضاء المدرسي، وبالتالي، تخفيض النفقات المادية المرتبطة بهذا المجال، والمحافظة على البيئة وخفض التكاليف المادية لطبع ونشر الكتب المدرسية الورقية.

من جهة أخرى، فالكتاب المدرسي الورقي يعاني من قصر عمره الافتراضي، كما أن مسألة تحيينه وتنقيحه تتطلب إعادة طبع نسخ ورقية هائلة مكلفة مادية، فضلا عن كونها عملية تتسم بالبطء وإشكالات متعلقة بالتوزيع والنشر، هذه الإشكالات يُجيب عنها الكتاب المدرسي الرقمي، ويقدم لها حولا عملية ومبتكرة، فعمليات التنقيح والتعديل، لا تتطلب إلا تحديثا رقميا على الإنترنت، دون كلفة مالية كبيرة، وهي عملية تتسم بالسرعة والاستمرارية، وتعتبر أكثر اقتصادا وأسرع من إعادة طباعة النسخ الورقية، خاصة وأن الكتب المدرسية تحتاج تجديدا وملاءمة مستمرة من أجل مواكبة التطورات المعرفية والبيداغوجية في ظل عالم يتسم بالتغير، والتطور المعرفي، والعلمي، والبيداغوجي.

### 3.الرهانات التكنولوجية:

تعيش مدرسة اليوم عدة أزمات نتيجة التغير الاجتماعي والذي زادت من حدته آثار الثورة الرقمية، وتتجسد إحدى تجليات هذه الأزمة التربوية المعاصرة في كون التربية بالطبيعة تستهدف المستقبل، من خلال بناء أجيال

<sup>1</sup>خلوفي محمد، موفق فيزاي، أثر ثقل الحقيبة المدرسية على صحة تلاميذ التعليم الابتدائي، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد11، العدد02،2022،ص347.

<sup>2</sup> Information reportée dans les Actes du séminaire Manuel scolaire et numérique des 23 et 24 octobre 2008, organisé à Strasbourg par la SDTICE.

قادرة على الانخراط في مجتمعاتها والمساهمة في تطويرها على كافة المستويات، غير أن الإشكال يتمثل في كون مدرسة اليوم مُصمَّمة على أساس الماضي، وهنا تظهر لنا بوضوح مفارقة التضارب الموجودة بين الماضي الذي تقوم عليه المؤسسة التعليمية ومناهجها ووظائفها المختلفة، وبين المستقبل الذي خلقت المدرسة من أجل بناء أجياله وإعدادها لمواكبة تطوراتها، في ظل هذه المفارقة تصبح المدرسة أشبه بمتحف تاريخي منغلق على ذاته، ويبدو العالم الخارجي بالنسبة للمتعلم أكثر إمتاعاً وإثارة كونه يتضمن مختلف الوسائل الرقمية الحديثة التي تحظى بإعجابها وتُشكل محور اهتماماته كالحواسيب والتلفاز، الأنترنت، مواقع التواصل الاجتماعي، اللوحات اللمسية، التطبيقات الرقمية... وعلى هذا الأساس أصبحت المدرسة مطالبة أكثر من أي وقت مضى بمواجهة هذه التحديات من خلال الارتقاء بالوسائل التقليدية في التعليم والتعلم والانفتاح على الوسائل الرقمية لتكون عامل جذب وتحفيز وزيادة للدافعية لدى المتعلمين، في هذا الإطار يرى العديد من التربويين، أن للكتب المدرسية الرقمية دوراً هاماً لما تمتاز به من خصائص تقنية متطورة، ويذهب البعض إلى أن لهذه الكتب المدرسية الحديثة جملة من السمات، من شأنها إحداث انقلاب في طرق التعليم، لعل هذا هو السبب الذي دفع بالعديد من الدول إلى عصرنه منظوماتها التربوية من خلال الكتب المدرسية الرقمية لكونها تساعد المتعلمين على التعلم من خلال وسائل مألوفة لديهم من جهة، وتمهينتهم للتعامل مع التكنولوجيا على مختلف المستويات للاندماج بسهولة مستقبلاً في مجتمع المعرفة من جهة ثانية.

**منهجية الدراسة:** اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يعرف بأنه المنهج الذي يدرس ظاهرة أو حدثاً أو قضية موجودة فعلياً، ويمكن الحصول منها على معلومات تجيب عن أسئلة الدراسة دون تدخل الباحث فيها، ويعد هذا المنهج مناسباً من أجل الوصول إلى الأهداف التي تروم هذه الدراسة تحقيقها.

**مجتمع الدراسة وعينتها:** تكوّن مجتمع الدراسة من أساتذة المدارس الابتدائية التابعة للمديرية الإقليمية بالرباط، أما العينة فشملت (147) أستاذاً وأستاذة، تمّ اختيارهم بالطريقة العشوائية من المدارس الابتدائية التي تنتمي لمجتمع الدراسة، وقد روعي في اختيار العينة تمثيلها لمتغيرات الدراسة المتمثلة في النوع الاجتماعي والمستوى الدراسي والأقدمية في التدريس، والرسم البياني رقم (1) يوضح ذلك.

**أداة الدراسة:** استخدمت الدراسة الاستبانة كأداة لجمع المعطيات، التي تعتبر من أكثر الأدوات انتشاراً لجمع البيانات واستخدامها وشيوعاً في البحوث ويرجع ذلك إلى الميزات التي تحققها هذه الأداة سواء بالنسبة لاختصار الوقت أو التكلفة أو سهولة معالجة بياناتها بالطرق الإحصائية.

## عرض النتائج ومناقشتها:

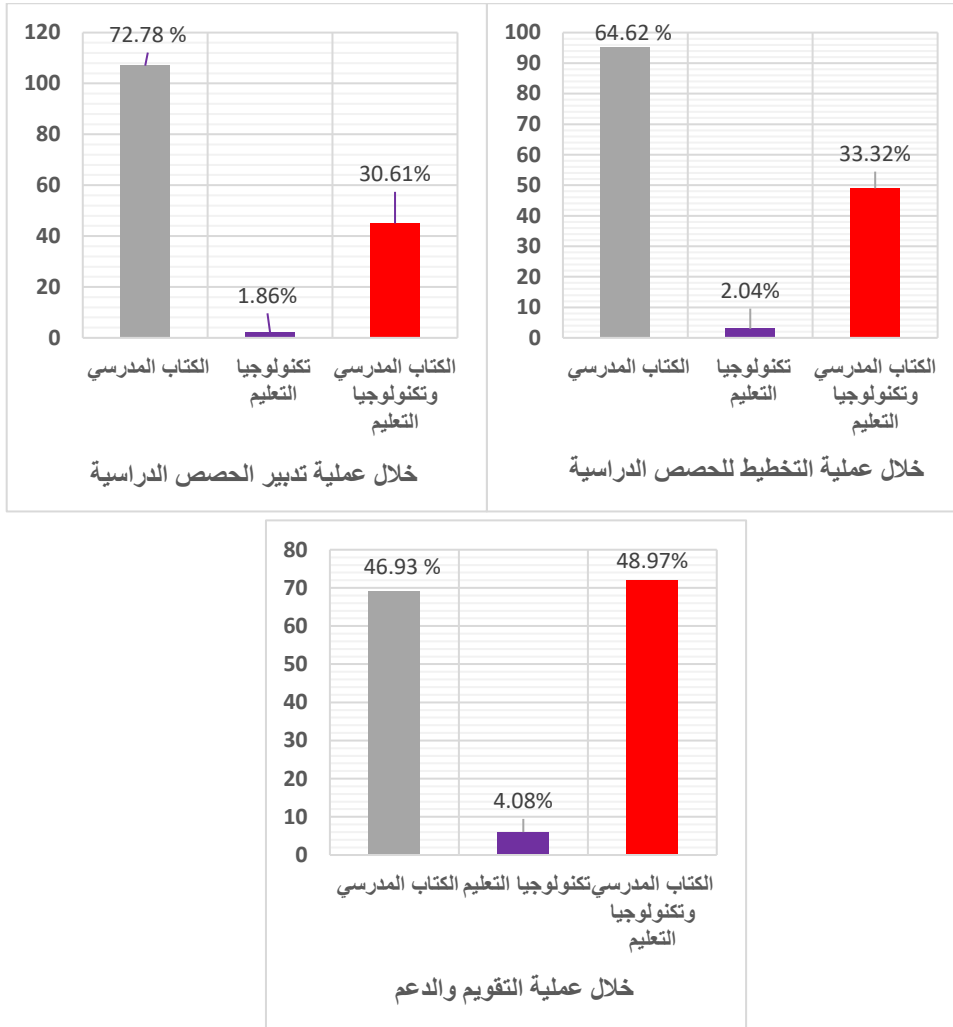
بعد ما قمنا بمختلف المعالجات الإحصائية للبيانات المحصل عليها، توصلنا إلى مجموعة من المعطيات التي حاولنا تفسيرها ومناقشتها، ولتحقيق هذا الغرض سنمر بمحطتين، تتمثل الأولى في عرض النتائج المتوصل إليها، وتتمثل الثانية في إعطاء تفسير لهذه النتائج، وفي نفس السياق، سنحاول الإجابة عن تساؤلات الدراسة التي تتعلق بدرجة توظيف الكتاب المدرسي وتكنولوجيا التعليم في عمليات التعليم والتعليم، واتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي بمدينة الرباط نحو رقمنة الكتاب المدرسي.

الجدول (1) توزيع أفراد عينة الدراسة حسب النوع الاجتماعي المؤهل العلمي والأقدمية ف التدريس.

المتغيرات	الفئة	العدد	النسبة المئوية
النوع الاجتماعي	ذكور	64	43.53%
	إناث	83	56.46%
	المجموع	147	100%
المؤهل العلمي	بكالوريا	37	25.17%
	إجازة	83	83.00%
	ماستر	27	18.36%
	المجموع	147	100%
الأقدمية في التدريس	أقل من عشر سنوات	36	24.48%
	أكثر من عشر سنوات	111	75.51%
	المجموع	147	100%

من خلال الجدول رقم (1) المتعلق بتوزيع عينة الدراسة حسب الجنس والمستوى الدراسي، يتضح جليا وجود تقارب ما بين الإناث والذكور حيث يشكل الإناث نسبة (56,5%) في حين يمثل الذكور نسبة (43,5%) من مجموع العينة التي تتكون من (147) أستاذ وأستاذة من العاملين في سلك التعليم الابتدائي بالمغرب وبالتحديد على صعيد مدينة الرباط.

أ- الرسم البياني رقم (1، 2، 3): درجة توظيف الأساتذة للكتاب المدرسي أو تكنولوجيا التعليم أو الجمع بينهما في مادة اللغة العربية بالتعليم الابتدائي.



من خلال المعطيات الواردة في الرسومات البيانية السابقة، يتضح جليا درجة توظيف أساتذة التعليم الابتدائي الذين يشكلون عينة البحث، لتكنولوجيا التعليم والكتاب المدرسي خلال مختلف فترات العمليات التعليمية التعليمية، انطلاقا من التخطيط مرورا بالتدبير وانتهاء بالتقويم والدعم.

أولا؛ خلال عملية التخطيط للحصص الدراسية، أكد (95) أستاذا وأستاذة من عينة الدراسة على اعتمادهم الكتاب المدرسي في التخطيط التربوي، وهو ما يشكل نسبة (64,62%)، في حين وصل عدد الأساتذة الذين يوظفون تكنولوجيا التعليم إلى جانب الكتاب المدرسي (49) أستاذا وأستاذة ما يمثل نسبة (33,32%) أما عدد الأساتذة الذين يعتمدون تكنولوجيا التعليم فقط، فلم يتجاوز (3) أساتذة، بنسبة (2,04%).

ويمكن تفسير هذا الحضور الكبير جدا للكتاب المدرسي أثناء مرحلة التخطيط للحصص الدراسية سواء بشكل مستقل أو إلى جانب تكنولوجيا التعليم، بأن الكتب المدرسية بشكلها الورقي التقليدي متوفرة لدى مختلف المتعلمين، إذ تُوزع عليهم في بداية السنة الدراسية بشكل مجاني في إطار المبادرة الملكية "مليون

محفظة"، الشيء الذي يفسر لجوء نسبة كبيرة من الأساتذة للاعتماد عليه في التخطيط لعمليات التعليم والتعلم، بالإضافة إلى كونه يشكل وثيقة مرجعية وتعاقد ديداكتيكي بين المتعلم والمدرس، حيث يستند عليه المدرس في تحقيق الاتصال التربوي، باعتباره مصدرا مهما لتخطيط عمله ومرشدا يهتدي به في إعداد الدروس، لما يزر به من وضعيات وأنشطة تعليمية، وتمارين تطبيقية، والتي يمكن أن ينطلق منها الأستاذ للتخطيط للفعل التعليمي التعليمي، أما بالنسبة لفئة الأساتذة الذين يوظفون الكتاب المدرسي إلى جانب تكنولوجيا التعليم، فذلك يمكن إيعازه إلى توفرهم على حواسيب شخصية وربط بشبكة الأنترنت يتم توظيفها لأغراض مهنية في عمليات التخطيط، التي تتم غالبا بشكل قبلي في المنزل، فضلا عن وفرة الموارد الرقمية والوثائق البيداغوجية على شبكة الأنترنت، الشيء الذي يُسهل على الأساتذة الإعداد القبلي والتخطيط الملائم للحصص الدراسية.

وبناء عليه نستنتج أن الكتاب المدرسي لازال يحتل مكانة متميزة في منظومة التربية والتكوين، وهو ما أكد عليه فرانسوا ماري جيرارد (2009) فرغم التطور الهائل الذي عرفته تكنولوجيا الإعلام والاتصال فإن الكتاب المدرسي لا يزال أوسع انتشارا وبدون شك الأكثر فعالية لتحقيق التعلم.

ثانياً؛ أثناء عملية تدير وإنجاز الدروس فقد أكد (107) أساتذة على اعتمادهم بشكل كبير على الكتاب المدرسي الورقي في تقديمهم للحصص الدراسية وبناء التعلّيمات داخل فصولهم، وهو ما يشكل نسبة (72,78%) في حين وصل عدد الأساتذة الذين يوظفون تكنولوجيا التعليم إلى جانب الكتاب المدرسي (45) أستاذا وأستاذة يمثل نسبة (30,61%) أما عدد الأساتذة الذين يعتمدون تكنولوجيا التعليم فقط، فلم يتجاوز أستاذين، بنسبة (1,86%).

هذه النتائج أظهرت أن درجة استخدام تكنولوجيا التعليم خلال حصص مادة اللغة العربية بالتعليم الابتدائي، تبقى ضعيفة نسبيا إذ لا تتجاوز نسبة (30,61%) من مجموع عينة الدراسة، ويمكن تفسير ذلك بقلة الأجهزة المعلوماتية في المؤسسات التعليمية، والتي بغياها يصعب الحديث عن توظيف تكنولوجيا التعليم، فأغلب الأساتذة الذين يوظفون تكنولوجيا التعليم في أقسامهم الدراسية، صرّحوا أنهم يستخدمون حواسيبهم الخاصة، وما يدفعهم إلى ذلك هو التفاعل الكبير من طرف المتعلمين والنتائج الإيجابية التي تحقق في بناء التعلّيمات، عندما يتم توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال أثناء الحصص الدراسية، غير أن قلة الدورات التكوينية في كيفية التعامل مع الوسائل التعليمية الرقمية، يجعل البعض يواجه هاجس الفشل عند استعمالها أمام المتعلمين، بسبب عدم التمرس والافتقار لتقنيات الاستخدام الأمثل لها، الشيء الذي يجعل

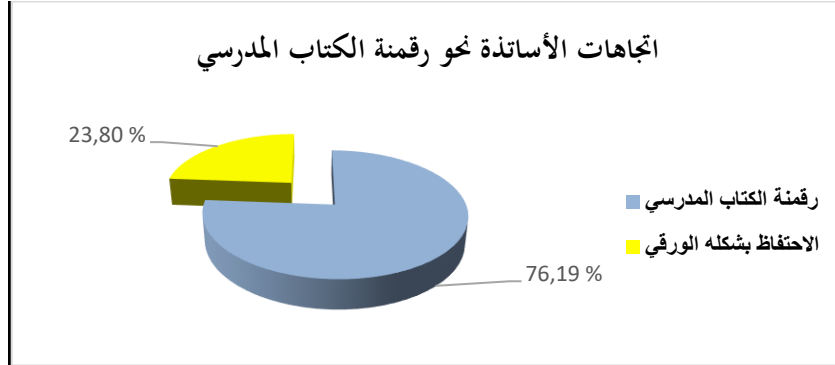
الغالبية (72,78%) تتركن للكتاب المدرسي الورقي باعتباره الوثيقة والألية التي تعودوا على استعمالها في مختلف محطات التدريس والتعلم طيلة مسارههم المهني، وتجدر الإشارة في هذا الإطار، أن معظم الأساتذة الذين صرحوا بأنهم يوظفون الكتاب المدرسي إلى جانب تكنولوجيا التعليم خلال حصص بناء التعلّمات، والذين يشكلون نسبة (30,61%)، هم من العينة التي لها أقل من (10) سنوات من الأقدمية في التدريس، وهو ما يمكن تفسيره بكون هذه الفئة من المدرسين قد تعودوا على استخدام التكنولوجيات الحديثة في حياتهم اليومية وتلقوا تكوينات عملية في أشكال وأساليب توظيفها وأنماط استثمارها في الفصول الدراسية.

ثالثاً؛ خلال فترات التقويم والدعم، بيّنت نتائج الدراسة، أنّ (69) أستاذاً وأستاذة يقومون بتوظيف الكتاب المدرسي إلى جانب تكنولوجيا التعليم، وهو ما يشكل نسبة (48,97%) وهذه هي فترة التعلم الوحيدة التي تأتي فيها تكنولوجيا التعليم والكتاب المدرسي في المرتبة الأولى، ويمكن تفسير ذلك بأن أساليب التقويم والدعم تترك هامش كبير من الحرية للأستاذ في إعداد أنشطة التقويم والدعم، بالإضافة إلى أنها أنشطة تكون غالباً غير اعتيادية ولا نمطية، مما يجعل العديد من الأساتذة والأستاذات يوظفون الوسائل التعليمية التكنولوجية لتقويم ودعم الصعوبات التعليمية والتعثرات الدراسية، التي تكشف عنها عملية التقويم، غير أن ذلك لا ينفي حضور الكتاب المدرسي بشكل حصري دون تكنولوجيا التعليم والذي وصلت نسبة استخدامه بشكل مستقل خلال حصص التقويم والدعم إلى (46,93%).

إن النتائج المحصل عليها تبين لنا بشكل واضح، أن الكتاب المدرسي لازال يحتل مكانة مهمة في العملية التعليمية التعليمية في مختلف مراحلها وفتراتها، سواء على مستوى التخطيط أو التدبير وكذلك أثناء حصص التقويم والدعم، غير أنه بدأ يعرف منافسة قوية من طرف تكنولوجيا التعليم، التي أضحت تزاخمه داخل الفصول الدراسية وخارجها، كما تكشف النتائج المحصل عليها أن تكنولوجيا التعليم، لازالت بعيدة كل البعد عن احتكار الفصل الدراسي واستبعاد الكتاب المدرسي بشكله الورقي، وذلك ما فسّره الأساتذة عينة البحث، بغياب الوسائل التعليمية الرقمية داخل فصولهم الدراسية، حيث تبقى نسبة كبيرة منهم تشتغل بوسائلها الخاصة.

الرسم البياني رقم (4): اتجاهات أساتذة التعليم الابتدائي نحو رقمنة الكتاب المدرسي الخاص باللغة

العربية:

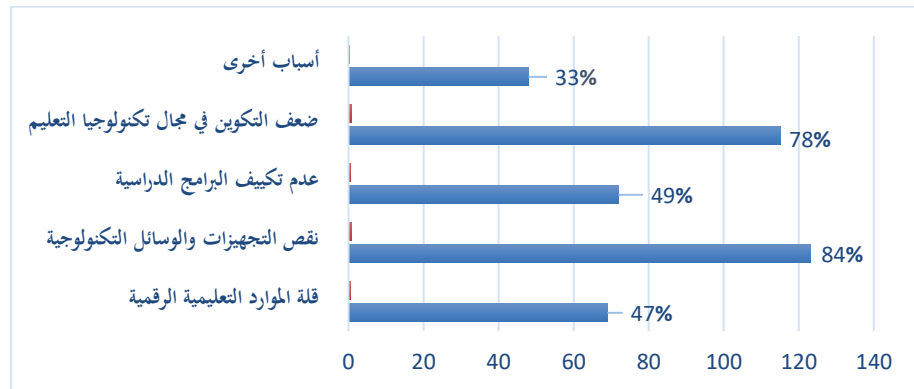


من خلال المعطيات الواردة في الرسم البياني رقم (2) يتضح لنا جليا، موقف أساتذة التعليم الابتدائي الذين يشكلون عينة البحث، اتجاه عملية رقمنة الكتاب المدرسي، حيث أن نسبة كبيرة منهم يؤيدون إنتاج نسخ رقمية للكتب المدرسية، وهذا ما تؤكد المعطيات والنتائج المحصل عليها، فنسبة (76,19%) أجابت بـ"نعم" عن إمكانية رقمنة الكتاب المدرسي، بمعنى إنتاج نسخ رقمية يتمكن المتعلمون من استعمالها باعتماد لوحات لمسية أو وسائل رقمية أخرى، ويفسرون ذلك بمجموعة من الأسباب والمبررات المنطقية من قبيل التفاعل الكبير أثناء الحصص الدراسية حينما يتم توظيف أدوات رقمية في أنشطة التعليم والتعلم، الشيء الذي يرفع من نجاعة التعلم ويسهل تحقيق الأهداف التربوية المسطرة، فضلا عن أن الكتب المدرسية الرقمية، ستخفف بشكل كبير من وزن الحقيبة المدرسية التي تثقل كاهل المتعلمين طيلة الموسم الدراسي، بالإضافة إلى أن النسخة الرقمية للكتاب المدرسي تسهل بشكل كبير التعليم عن بعد، وغير خفي أهمية التعليم عن بعد والتعلم الذاتي في إكساب الطفل لمهارات ومعارف وقدرات حياتية جديدة أبرزها تعلم التعلم، مما يجعله يتعلم ويطور من ذاته ومهاراته الشخصية، ويعزز الشعور بالاستقلالية لديه، ناهيك عن تشجيعه على المشاركة في الأعمال والأنشطة البحثية، والاستكشافية الذاتية، والقراءة، والابتكار.

أما بالنسبة للأساتذة الذين فضلوا الاحتفاظ بشكله الورقي، (23,8 %) فبرروا ذلك بغياب التكوين الملائم للمدرسين في كيفية التعامل مع الكتب المدرسية الرقمية، وندرة المعدات والوسائل التقنية التي من شأنها تفعيل عملية رقمنة الكتب المدرسية، وهو ما من شأنه عرقلة العملية التدريسية من وجهة نظرهم، غير أن العمل على توفير التكوين المستمر والوسائل الرقمية للمتعلمين من شأنها إزاحة العراقيل والهواجس التي تحول دون موافقة هذه الشريحة من الأساتذة، على عملية رقمنة الكتب المدرسية.

الكثير من المدرسين، لمسوا أهمية رقمنة الكتاب المدرسي إبان جائحة كوفيد-19 حينما تم اعتماد التعليم عن بعد والتدريس بالتناوب (أي الجمع بين التعليم الحضوري والتعلم الذاتي)، فخلال هاتين السنتين الدراسيتين التي توقفت فيهما الدراسة الحضورية بشكلها المعروف، قام الكثير من الأساتذة بعملية تحويل الكتب المدرسية الورقية إلى الصيغة الرقمية، وذلك من أجل مواكبة المتعلمين وضمان الاستمرارية البيداغوجية، وهو ما يبرز لنا المكانة المهمة التي يحتلها الكتاب المدرسي، غير أن التطور التكنولوجي المستمر يستلزم من الفاعلين التربويين مواكبة هذا التطور، من خلال إبداع وإنتاج كتب مدرسية رقمية وتفاعلية مغربية، تستجيب لتطلعات المتدربين وانتظارات المدرسين، غير أن ذلك لا يمكن تحقيقه دون بنية تحتية ملائمة وتكوين مستمر للأساتذة في كيفية توظيف ليس فقط الكتاب المدرسي الرقمي وإنما مختلف أدوات تكنولوجيا التعليم.

#### الرسم البياني رقم (5): عر اقل عملية إدماج تكنولوجيا التعليم بالفصول الدراسية:



يتضح من خلال الرسم البياني رقم (5) الذي يتضمن المعطيات الإحصائية الخاصة بالسؤال المتعلق بالعوائق التي تحول دون إدماج تكنولوجيا التعليم بالفصول الدراسية، أن معظم الأساتذة يشكون من النقص الكبير على مستوى التكوينات في مجال تكنولوجيا التعليم، وذلك بنسبة (78%)، صحيح أن وزارة التربية الوطنية بالمغرب راكمت مجهودات ومبادرات متعددة لتعميم التكوين المستمر في مجال تكنولوجيا التعليم والاتصال وتوفير البنية التحتية الضرورية، وأطلقت لهذا الغرض خصيصاً (مشروع جيني)، وهو برنامج لتعميم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بالتعليم، خلال الفترة 2009-2013، من أجل المساهمة في تحسين جودة التعليم عبر تعميم الأدوات المعلوماتية بمختلف استعمالاتها داخل المدرسة المغربية.

هذا المشروع كان يستهدف:

1- تجهيز كافة المؤسسات التعليمية بالعتاد المعلوماتي وربطها بشبكة الأنترنت.

2- تكوين وإنماء القدرات المهنية المتصلة باستعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في المجال التربوي لفائدة الفاعلين التربويين (هيئة التدريس، هيئة التأطير التربوي، هيئة الإدارة التربوية).

3- اقتناء وملاءمة وإنتاج الموارد الرقمية ووضعها رهن إشارة المدرسات والمدرسين والمتعلّمين والمتعلّمين عبر البوابة الرقمية الوطنية.

4- تطوير استعمالات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من خلال التحسيس بقيمتها المضافة في التدريس ومصاحبة وتتبع الممارسات المرتبطة بإدماج هذه التكنولوجيات في منظومة التربية والتكوين.

غير أن نتائج هذه الدراسة بيّنت لنا أن التكوين في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال، يبقى ضعيفا، الشيء الذي جعل هؤلاء الأساتذة يعبرون لنا عن امتعاضهم من غياب التكوين المتخصص في تكنولوجيا التعليم، وبالتالي غياب المعرفة الكافية والدراية العلمية والعملية بأشكال وطرق توظيف التكنولوجيا في الأقسام الدراسية وأن استخدامها يخضع لاجتهادات فردية من طرف المدرسين.

كما أكد الأساتذة بنسبة تصل إلى (84%) على أن من بين العوائق التي تقف معرقله إندماج تكنولوجيا التعليم في الأقسام الدراسية هو غياب التجهيزات والوسائل التقنية، فكما هو معلوم يحتاج التعليم عن بعد لأدوات تكنولوجية، من حواسيب ومعدات تقنية وربط بشبكة الأنترنت، في حين أنها تغيب بشكل كبير عن مجموعة من المؤسسات التعليمية، أو تتعرض لأعطاب وتظل بدون إصلاح، ما يقف عائقا أمام توظيف وإدماج التكنولوجيا في التعليم.

في حين أن (49%) من المدرسين المستطلعة آرائهم أكدوا كذلك أن من بين العراقيل التي تعترض عملية إدماج تكنولوجيا التعليم هي عدم تكييف وتعديل البرامج الدراسية الرسمية المقررة، فهذه البرامج قد تم تأليفها وتصميمها بشكل لا يراعي في الأغلب عملية توظيف وسائل تكنولوجية في عمليتي التعليم والتعلم، ويتم إعدادها وفق سيناريو بيداغوجي وديداكتيكي يضع في الحسبان فقط الوسائل التعليمية التقليدية.

وقد اعتبر (47%) من عينة الدراسة أن قلة الموارد الرقمية، تشكل عائقا كذلك، وما لجوء الوزارة إلى الإعداد الفوري للعدة الرقمية على عجل، ووضعها رهن إشارة المدرسات والمدرسين والمتعلّمين والمتعلّمين عبر البوابة الرقمية الوطنية، بُعيد توقيف الدراسة الحضورية، خلال جائحة كوفيد-19 لضمان الاستمرارية البيداغوجية وإنقاذ الموسم الدراسي، لهو دليل واضح، على تدني اقتناء وإنتاج الموارد الرقمية، ويبقى الاعتماد على الاجتهادات الفردية والجماعية للمدرسين التي مهما بلغت درجتها، لا يمكن أن تحقق هدف التعميم المنشود.

## استنتاجات عامة:

- الكتاب المدرسي لازال يحتل مكانة متميزة في مختلف فترات التعليم والتعلم من تخطيط، وتدبير، وتقويم، ودعم.
- توظيف تكنولوجيا التعليم لا يزال ضعيفا وذلك لعدة أسباب منها ما هو مرتبط بالموارد المادية والبنية التحتية ومنها ما يرتبط بالكفاية التقنية للموارد البشرية.
- التجهيزات التكنولوجية الموجودة بالمؤسسات التعليمية لا تستخدم غالبا وذلك إما لغياب الكفاية التقنية لدى المدرسين أو غياب الربط بشبكة الأنترنت أو غياب الصيانة.
- اتجاهات إيجابية لدى مدرسي التعليم الابتدائي نحو عملية رقمنة الكتب المدرسية لما ستتيحه العملية من فرص بيداغوجية وديداكتيكية كبيرة.

## خاتمة:

لقد أضحت تكنولوجيا التعليم تفرض نفسها أكثر من أي وقت مضى، حيث لم يعد يكفي اعتماد بعض الوسائل التعليمية الرقمية في عمليتي التعليم والتعلم، بل من الضروري تجاوز ذلك إلى الانتقال بالمنظومة التربوية برمتها لتتبنى فلسفة تكنولوجيا التعليم، وذلك لتكون المدرسة قادرة على تربية جيل له القدرات الضرورية والكفايات اللازمة للانخراط الإيجابي والفعال في مجتمع المعرفة.

إن متعلم اليوم لم يعد يشبه متعلم أمس، فإذا كان هذا الأخير قادرا على التعلم والاكْتساب بوسائل وأدوات بسيطة تنتمي لعصره، فإن متعلم اليوم شديد الارتباط بالمنتجات التكنولوجية الحديثة، وتحدث فيها تأثيرا بالغا خارج الفضاء المدرسي، وبالتالي أصبح من المفروض إخراج المدرسة من حالة الجمود والانتقال بها نحو عصر التكنولوجيا والرقمنة، حتى تستطيع جذب انتباه المتعلمين وتحقيق الأهداف التربوية المنشودة، وبما أن الكتاب المدرسي يشكل الأداة التعليمية الأبرز بين وسائل وأدوات اشتغال الأساتذة ويشكل الوثيقة المرجعية للمتعلمين، فإن عملية رقمته تبقى ضرورية لما يتيحه من إمكانيات وفرص بيداغوجية وديداكتيكية واقتصادية وتكنولوجية هائلة، وكما أكدت المديرية العامة لمنظمة اليونسكو أودري أزولاي، فالجائحة كشفت عن حاجة أنظمة التعليم إلى أن تكون مرنة وقادرة على امتصاص وتجاوز الصدمات من خلال تجديد أدواتها ووسائل اشتغالها، وهو الشيء الذي يمكن أن يحدث من خلال العمل على تعميم تكنولوجيا التعليم والرقمنة.

## قائمة المراجع:

1. الفريجات، غالب عبد المعطي، مدخل إلى تكنولوجيا التعليم، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الأردن، 2014.

2. الفراء، عبد الله عمر، تكنولوجيا التعليم والاتصال، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 1999.
3. منصف عبد الحق، رهانات البيداغوجيا المعاصرة، دراسة في قضايا التعلم والثقافة المدرسية، إفريقيا الشرق، المغرب، 2007.
4. المدرسة، التكنولوجيات الجديدة والرهانات الثقافية، المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، يوليو 2014.
5. خليفة شعبان عبد العزيز، المحاورات في مناهج البحث في علم المكتبات والمعلومات. دار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2004.
6. محمد زمراني، الكتاب المدرسي من الإخراج الورقي إلى الإخراج الرقمي. (سنة النشر غير معروفة).
7. ROGERS Xavier et Gérard François-Marie, Les manuels scolaires pour apprendre: Concevoir, évaluer, utiliser Edition : De Boeck Université, Bruxelles-Paris, 2009.
8. RICHAUDEAU François, Conception et production des manuels scolaires, EdUnesco. Paris, 1979.
9. Gossin, p. La lecture numérique: réalités, enjeux et perspectives, 2007
10. Cuq, Jean-Pierre, Dictionnaire. Le Petit Robert, 2003, Dictionnaire. → Cuq, J.-P. 2003.

التربية البدنية والرياضية ودورها في التقليل من ظاهرة العنف المدرسي لدى المتعلم المراهق: دراسة  
نفسية اجتماعية

The role of physical education and sports in the fight against school violence among  
adolescent students. Social psychological study

الطالب الباحث هشام الدقوني/جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب

Research student Hicham EDDAQOUNI/Université mohamed, Rabat, Morocco

**Abstract:**

This research aims to study the degree of influence of physical education and sports and their effectiveness in combating the phenomenon of school violence. The research also aims to demonstrate the essential role of physical education in training these students on values, and protecting them against all forms of delinquency that can hinder their educational path.

The majority of the students taking part in this study are convinced of the primordial role of physical education sessions in the fight against all forms of school violence. The participants have also emphasized the importance of these sessions in the education on social values given through practical instances.

**Keys words:** physical education and sport, school violence, Adolescence.

## ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على درجة تأثير مادة التربية البدنية والرياضية وفعاليتها في التقليل من ظاهرة العنف المدرسي بجميع أشكاله، المادية واللفظية والمعنوية، كما تتوخى تبين مساهمة مادة التربية البدنية والرياضية في تربية المتعلمين الذين يعيشون مرحلة المراهقة، بالعمل على زرع مجموعة من القيم المجتمعية، مع الوقوف على وفي نفس الوقت وقيمتهم من مجموعة من الآفات التي قد تكون سببا في تعثر مشوارهم الدراسي.

وتساهم حصص التربية البدنية والرياضية بدرجة كبيرة في التقليل من ظاهرة العنف المدرسي بجميع أشكاله، كما تساهم أيضا بشكل فعال في الارتقاء بسلوك المتعلمين وتربيتهم على مجموعة من القيم الأخلاقية التي يتشبعون بها وتنمي لديهم من خلال تفاعلهم مع مواقف عملية داخل هذه الحصص.

الكلمات المفتاحية: التربية البدنية والرياضية، العنف المدرسي، المراهقة.

## 1. مقدمة :

أضحت المدرسة المغربية اليوم محط انتقادات واسعة، على إثر التحولات العميقة التي عرفتها في السنين الأخيرة والتي جعلت جميع المهتمين بحقل التربية والتكوين يتوجهون بالبحث والسؤال عن الدور الحقيقي الذي يمكن أن تضطلع به في خضم انتشار مجموعة من السلوكات، التي تتنافى مع الغايات والأهداف النبيلة التي وجدت من أجلها. بحيث نجد على سبيل المثال تنامي مجموعة من الظواهر السلبية داخل الوسط المدرسي وفي جنباته من قبيل: التدخين، المخدرات، العنف، والغش... والذي لا شك أن تزايدها واستفحالها يهدد بناء مدرسة قوي جديرة بالثقة من لدن المجتمع، وقادرة على تكوين مواطنين صالحين قادرين بدورهم على الاندماج بسهولة في محيطهم السوسيو اقتصادي والثقافي بشكل عام.

و بالرغم من أن مقتضيات وأهداف الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ومن خلال الوثائق الرسمية التي تؤطر عملية التربية والتكوين في المجال التربوي تدعو إلى الانتباه إلى خطورة هذه الظواهر ومحاولة التصدي لها، بتبني مقاربات متنوعة منها المقاربة الزجرية، إلا أن هذه المقاربات والبرامج التي تم إعدادها لم تسهم بالشكل الكافي في إيقاف شرارتها الأولى، مما جعلها تعرف تناسلا كبيرا، صارت معه تمتد لتشمل كل الحواضر والبوادي إلى درجة أن الطرق التي تمارس بها باتت موحدة بين جل المتعلمين، إذ تحولت المدرسة من مكان للتربية على القيم إلى فضاء لتنامي ظواهر منحرفة، أمام هذا الوضع الراهن لا بد من العمل في إطار مقاربة تشاركية تتجاوز كل المقاربات الأحادية، تدعو كافة المتدخلين من إداريين وتربويين ومنسقي مواد وأساتذة من جهة والفاعلين الاجتماعيين من جهة أخرى، يكون هدفها هو إخراج نماذج تربوية متكاملة ومنبثقة من تخصصات مختلفة من أجل التخفيف تدريجيا من هذه السلوكات المنحرفة على أمل إقصائها نهائيا داخل الوسط المدرسي، وبهذا ستساهم المدرسة في تنمية السلوك المدني لدى المتعلمين وتشبعهم بتحقيق القيم الكبرى للمواطنة الكاملة،

والذي من شأنه إكساب المتعلم مناعة حقيقية ضد كل أشكال العنف و كل السلوكات السلبية التي تسربت للأسف إلى المؤسسة التربوية، و بالتالي اضطلاع المدرسة المغربية بدورها كرافعة للإصلاح المجتمعي و قاطرة لإعداد مستقبل أفضل للناشئة.

وسعيا منا لمواكبة هذه الدينامية الجديدة في الإصلاح وإعادة الاعتبار للمدرسة المغربية المكانة التي من أجلها وجدت والتصدي لهذه الظواهر السلبية التي أصبحت تشكل عبأ عليها وتحد من فعاليتها، وسعيها نحو تحقيق الجودة في العملية التعليمية التعلمية، سنحاول من خلال هذه الدراسة إبراز الدور والأثر الإيجابي لمادة التربية البدنية ومساهمتها في الوقاية والتخفيف من ظاهرة العنف المدرسي كظاهرة عرفت انتشارا واسعا داخل المؤسسات التربوية في السنوات الأخيرة، بحيث تعتبر التربية البدنية مادة مدرسية إلزامية تجعل من البعد الحس-حركي كمدخل لها لتنمية شخصية المتعلم وجعلها تنمو على مستوى الأبعاد الأخرى معرفيا ووجدانيا واجتماعيا، من خلال اقتراح مجموعة من الأنشطة الرياضية الهادفة كدعامة لها في تمرير مجموعة من المواقف والقيم المقبولة اجتماعيا، على اعتبار أن النشاط الحركي يعد أحد الوسائل الرئيسية لتعلم السلوك واكتساب الاتجاهات والمهارات والقيم التي يرمي إليها المجتمع، ولهذا فجل التربويين ينظرون للحركة والأنشطة الحركية كخبرات واليات جد مؤثرة في التنشئة الاجتماعية.

## 2. سياق الدراسة :

ارتبطت ظاهرة العنف بالإنسان من القدم، وقد حاولت العديد من النظريات مقارنة وفهم هذه الظاهرة للوقوف على مسبباتها والعواقب التي قد تترتب عنها، فنجد المقاربة البيولوجية، المقاربة العصبية النفسية، المقاربة السوسولوجية، بالإضافة إلى المقاربة الأنثروبولوجية وغيرها من المقاربات...ومن خلال هذه الدراسة ارتأينا أن نقارب هذه الظاهرة مقارنة نسقية تركيبية نظرا لكون العنف المدرسي يعتبر بدوره ظاهرة مركبة ومتجددة داخل الوسط المدرسي، ومن بين الإشكاليات السوسيو تربوية، بحيث إذا أراد أي باحث التعرف على هذه الظاهرة ومحاولة ملامسة جوانبها الخفية إلا وجد أنه عمل شاق ولا يخلو من تشابك خيوطه وعوامله المركبة، فنجد هناك عوامل متعددة ومتنوعة تنتفي بينها الحواجز إلى درجة أنه يصعب ترتيبها وتجميعها ضمن وحدات متميزة يسهل الفصل بينها.

بداخل هذه العوامل توجد متغيرات هي الأخرى متعددة ومتنوعة يصعب التحكم في درجة التأثير البيئي فيما بينها، فعلى سبيل المثال: هناك عوامل ذات صلة بالظروف النفسية و الاجتماعية، حيث أن الموقع الذي توجد فيه المؤسسة يلعب دورا مهما في تفشي ظاهرة العنف المدرسي من عدمها، فغالبا ما تكون الظاهرة جد متفشية في المؤسسات التي يكون غالبية تلامذتها ينحدرون من مناطق معزولة وأحياء سكنية مهمشة، وينتمون إلى أسر فقيرة تعاني الأمية والحرمان والقهر والإحباط النفسي كلها متغيرات تؤثر وتتأثر وتتفاعل فيما بينها لتجعل أبناء

هذه الأسر أكثر عرضة لاضطرابات نفسية تجعلهم غير متوافقين ذاتيا واجتماعيا مع محيطهم الخارجي، وتعزز لديهم في نفس الوقت انفعالات ومشاعر مليئة بالحقد والكره والغضب والحسد اتجاه الآخرين وهي انفعالات ومشاعر تتحول في معظم الحالات إلى سلوكيات عدوانية.

هناك أيضا عامل يتعلق بالظروف التربوية التي تحيط بالمجال المدرسي، وهي بدورها تشمل مجموعة من المتغيرات التي تؤثر إيجابا أو سلبا في خلق جو يسوده التعاون والانضباط والاحترام المتبادل بين مكونات العملية التعليمية التعلمية، منها توفر المؤسسة على المرافق الصحية الضرورية، الأسلوب التعليمي المتبع من طرف المدرس ومدى قدرته على خلق فضاء من التواصل و التفاهم مع تلامذته وإدراكه لحاجياتهم ومراعاة فروقهم الفردية وتجنب السلوكيات العنيفة اتجاههم، فكلها متغيرات قد تؤثر بشكل أو بآخر في ظهور السلوكيات العنيفة لدى المتعلمين، زد على ذلك أن المؤسسة التعليمية تشكل نسقا منفتحا على المحيط الخارجي أي على أنساق أخرى: اجتماعية واقتصادية وبيئية، تجعل من ظاهرة العنف ومسبباتها تتميز بحركية يصعب معها وضع الأصبع على سبب واحد موحد من الأسباب وادعاء أنه هو الوحيد أو الرئيسي والأسباب الأخرى فقط مجرد عوامل وأسباب ثانوية وتابعة لهذا السبب الرئيسي، بل توجد كلها في وضعية تأثير وتأثر وتفاعل مستمر وهي أيضا مختلفة ومتغيرة في الزمان والمكان لدرجة أنه لا يمكن الجزم بأن الظاهرة يمكن القضاء عليها واجتثاثها خلال فترة قصيرة، بل هو عمل مضمّن ويتطلب استراتيجية طويلة الأمد وممتدة في الزمان، حيث نجد أن بعض المؤسسات التربوية متأثرة أكثر من غيرها بهذه الظاهرة تبعا لكل هذه المحددات والمتغيرات التي سبق الإشارة إليها، وهذا ما يضيف على ظاهرة العنف المدرسي طابع الدينامية والتغير والتعدد والاختلاف.



تعتبر مادة التربية البدنية والرياضية من وجهة نظر بيداغوجية مادة تعليمية إلزامية وجزء لا يتجزأ من التربية العامة في جميع أسلاك التعليم، ترمي إلى إعداد الفرد للحياة وتوفير له الظروف المناسبة للنمو من كافة الجوانب الجسمية والعقلية والاجتماعية والتربوية، فمن الناحية الجسمية تقوي العضلات وتنشط جميع الأنظمة الجسمية، ومن الناحية العقلية تساعد على تطوير القدرات العقلية والوجدانية، كما تجنب الفرد العقد النفسية التي غالباً ما تسبب له صعوبات واضطرابات نفسية، ومن الجانب الاجتماعي فهي تتيح للفرد فرصة الاحتكاك مع الغير، مما يؤدي به إلى ربط علاقات والتفاعل بشتى أنواعه داخل جماعات صغيرة، أما من الناحية التربوية فهي تؤدي إلى اكتساب مهارات حركية ومعارف مرتبطة بها، كما أنها تعدل التصرفات السلبية، فمن خلال هذه الأهداف المزمع أن تضطلع بها مادة التربية البدنية سنحاول من خلال دراستنا هذه التركيز على العلاقة بين ممارسة مادة التربية البدنية وتهذيب السلوك العدواني، وإبراز مدى قدرة المادة على إدماج الفرد في محيطه الخارجي وتمكينه من النجاح في التفاعل الإيجابي مع هذا المحيط، في جو تعمه الحرية وتحمل المسؤولية وتفادي كل السلوكات السلبية التي قد تشوش وتقطع صلة هذا الفرد مع محيطه وقد تدخله أيضاً في بعض الأحيان في صراعات معه. وفي إطار نظرتنا التكاملية مع باقي المكونات التربوية الأخرى للنسق، تظل مادة التربية البدنية غير قادرة لوحدها على إعادة التوازن لهذا النسق من دون مساهمة مواد أخرى.

## 3. المفاهيم الأساسية للدراسة :

## أ - التربية البدنية والرياضية:

تعرف التربية البدنية على أنها مادة مدرسية كسائر المواد الأخرى تعنى بتمرير مجموعة من المعارف، والمبادئ والقواعد المنبثقة من الثقافة المحلية أو الكونية، على أساس التمييز بين الجوهر الثقافي المكون من القيم والمعارف الأساسية المرتبطة بالنشاط الحركي والأشكال الثقافية التي يتم تمرير هذه المعارف من خلالها متمثلة في مختلف الأنشطة الرياضية<sup>1</sup>، فهي فضاء يتمكن من خلاله المتعلم من اكتساب مهارات بدنية وعقلية واجتماعية على أساس إمكاناته الذاتية، وبالتالي فالتربية البدنية تتخذ من الحركة مدخلا لها لتنمية جميع الجوانب الأخرى من شخصية الفرد سواء تعلق الأمر بالجانب المعرفي، أو الوجداني أو الاجتماعي العلائقي.

## ب - السلوك العدواني:

يدل مفهوم العدوانية في معناه الضيق على سلوك عدائي هدام لفرد غير متكيف وذو طبع سيء، أما في معناه العام، فهو يصف دينامية شخص في طور تأكيد ذاته<sup>2</sup>، وتعرفه الباحثة سوسن شاكر مجيد بأنه سلوك مقصود يستهدف إلحاق الضرر، أو الأذى بالغير وقد ينتج عن العدوان أذى يصيب إنسانا أو حيوانا، كما قد ينتج عنه تحطيم للأشياء أو الممتلكات<sup>3</sup>. إذن فهو عبارة عن سلوك ينتج عنه أذى، وله أنماط مختلفة حيث أنه يتخذ أشكالا متعددة عدوان جسدي فعلي أو لفظي أو رمزي.

## ج - المراهقة:

تعتبر المراهقة مرحلة وسطى بين الطفولة والرشد، وهي الفترة الأكثر تأثيرا في نمو شخصية الفرد ونضجها، نظرا لمختلف أنواع التغيرات الجسمية والعقلية والانفعالية التي يعيشها المراهق في هذه السن<sup>4</sup>، وهي المرحلة التي يمر بها المتدريس في مرحلة الثانوي التأهيلي، ولعل هذه التحولات والتغيرات التي تحدث لدى المراهق في هذه الفترة ما يجعله يدخل في سيرورة إثبات الذات وصراعه مع محيطه الخارجي لتحقيق ذلك.

1- المجلة الأكاديمية للأساتذة التربية البدنية، أكاديمية نانت عدد 6/1991/1992، ص 8.

2- أحمد أوزي، المراهق والعلاقات المدرسية، منشورات مجلة علوم التربية ص 117.

3- <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=304037&r=0.11/10/2019.10h29min>.

4- أحمد أوزي، مرجع سابق، ص 16.

## 4. قيم التربية البدنية والرياضية وغاياتها :

يعرف روكيش ميلتون القيم على أنها عبارة عن تصورات من شأنها أن تفضي إلى سلوك تفضيلي، كما أنها تعتبر بمثابة معايير للاختيار من بين البدائل السلوكية المتاحة للفرد في موقف ما، ومن ثم فإن احتضان الفرد لقيم، معينة يعني توقع ممارسته لأنشطة سلوكية تتسق مع تلك القيم، "فالقيم محدد ومرشد للسلوك وهي التي توجه اختياراتنا من بين بدائل السلوك في المواقف المختلفة وتحدد لنا نوع السلوك المرغوب فيه في موقف ما توجد فيه عدة بدائل سلوكية كما يرى بأن التعدد في مجالات الحياة والسلوك يؤدي إلى تعدد في نظم القيم الموجهة لسلوك الفرد. و يعرفها أيضا أحمد بدري على أنها أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية ينشأ عليها الفرد ويحكم بها، وتحدد مجالات تفكيره، تحدد سلوكه وتؤثر في تعلمه كما يرى بأن القيم الاجتماعية تعني الصفات التي يفضلها أو يرغب فيها الناس في ثقافة معينة، وتتخذ صفة العمومية بالنسبة لجميع الأفراد لما تصبح من موجبات السلوك أو تعتبر أهدافا له"<sup>1</sup>، وعليه تعتبر القيم هي كل شيء متوافق عليه على أنه صحيح وجميل وجيد حسب معايير شخصية أو اجتماعية تعتبر بدورها مرجعا ومبادئ أخلاقية مشتركة.

وفي هذا الصدد يدعو الميثاق الوطني للتربية والتكوين، النظام التعليمي لأن يصبح فضاء لاكتساب القيم والمعارف والمهارات التي تؤهلهم للاندماج في الحياة العملية وفرصة لمواصلة التعلم<sup>2</sup>، حيث تلعب فيه المدرسة دور الوسيط بين المجتمع وأفراده، هذا الدور يجعل الناشئة تتشبع بالقيم المجتمعية وصولا إلى باقي القيم الإنسانية، ويقوي علاقات مجتمعية متينة، كما يحارب جميع الظواهر السلبية التي تنخر المجتمعات وتخرب شبابها مثل المخدرات العنف، التغذية، السيئة، وعدم مواولة الأنشطة الرياضية، وفي هذا الصدد، تعتبر التربية البدنية جزء من هذه المنظومة لها خصوصيتها التي تميزها عن باقي المواد الأخرى، والتي تجعل من الحركة مدخلا لها للتربية على القيم وتهذيب السلوك واكتساب معارف جديدة متعلقة بمجالات الصحة ونوعية الحياة والبيئة، وفي هذا السياق هناك رأيان مختلفان، إذ أن الرأي الأول يقول بأن برمجة الأنشطة الرياضية داخل المدرسة دون إجراء أي تعديل ديداكتيكي عليها ستمكن حتما من نقل القيم التي يرمي إليها المجتمع نظرا لأن أي نشاط رياضي هو نشاط غني في حد ذاته بقيم التعاون، المنافسة النزهاء، الاحترام والتفاهم المتبادلين والتواصل وغيرها من القيم التي يسعى أي مجتمع لأن يغرسها في نفوس أفراده، وهناك الرأي الثاني الذي يدعو إلى ضرورة

1- <http://educapsy.com/blog/valeur-419.02/12/2019.16h16min>.

2- الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وزارة التربية الوطنية، الرباط، أكتوبر 1999، ص 8.

التدخل الديدانكتيكي لإجراء التغييرات الضرورية وجعل أي نشاط رياضي يتماشى ومواصفات ومتطلبات الفئة التي يستهدفها وجعل القيم التي يتضمنها بصفة مضمرة أكثر بروزا وأثرا في التعلم.

##### 5. أهداف التربية البدنية والرياضية :

تهدف التربية البدنية كمادة مدرسية إلزامية أساسا إلى إكساب المتعلم نمو متوازنا بدنيا، نفسيا، عقليا واجتماعيا فهي كغيرها من المواد المدرسية ترمي وتستهدف الغايات التربوية الكبرى التي جاء بها الميثاق الوطني للتربية وهي كالآتي :

- ترسيخ الهوية المغربية الحضارية والوعي بتنوع وتفاعل وتكامل روافدها.
- الانفتاح على مكاسب ومنجزات الحضارة الإنسانية المعاصرة.
- تكريس حب الوطن وتعزيز الرغبة في خدمته.
- تكريس حب المعرفة وطلب العلم والبحث والاستكشاف.
- المساهمة في تطوير العلوم والتكنولوجيا الجديدة.
- تنمية الوعي بالواجبات والحقوق.
- التربية على المواطنة وممارسة الديمقراطية.
- التشجيع بروح الحوار والتسامح وقبول الاختلاف.
- ترسيخ قيم المعاصرة والحداثة.
- التمكن من التواصل بمختلف أشكاله وأساليبه.
- التفتح على التكوين المهني المستمر.
- تنمية الذوق الجمالي والإنتاج الفني والتكوين الحرفي في مجالات الفنون والتقنيات.
- تنمية القدرة على المشاركة الإيجابية في الشأن المحلي والوطني.

فهذه الغايات كلها تعبر عن مجموعة القيم التي تعبر بدورها عن مجموعة من المواصفات الفلسفية، الثقافية، السياسية، والاقتصادية لدى مجتمع ما، وقد لا حظ كل من رفايل لوكا و ميشيل بيار أن هذه الغايات والقيم تستهدف أساسا تنمية روح المواطنة، الاستقلال الذاتي، تحمل المسؤولية والتكفير النقدي<sup>1</sup>، بحيث انه منذ اضطلاع مادة التربية البدنية بجانب المواد الدراسية الأخرى بمهمة المساهمة في بلوغ هذه الغايات والمرامي التي يسعى إليها النظام التربوي ككل، وباعتبار خصوصيتها التي تتخذ من الحركة والنشاط البدني مدخلا لها، جعلتها هذه الخصوصية تحتل مكانة متميزة على مستوى أي مؤسسة تربوية.

1-Raphael Leca, Michel Billard : L'enseignement des activités physiques sportives et artistiques, ellipses édition, paris, 2005. P23.

لقد صنف الباحثان رفاييل لوكا وميشيل بيار أهداف التربية البدنية إلى ثلاثة أصناف:

### ✓ أولاً تنمية القدرات المرتبطة بالسلوك الحركي والانفعالي:

وتهم تنمية القدرات البدنية، كالسرعة والقوة والجلد، والتنسيق الحركي، والتوازن والمرونة العضلية المفصلية، كما تستهدف تطوير إمكانيات المتعلم المتعلقة بمعالجة المعلومات والتموقع في الفضاء والزمان من خلال مجموعة من العمليات الذهنية كالتحديد، الانتقاء، واستعمال المعطيات الأجود الكفيلة بمساعدة المتعلم على اتخاذ القرار المناسب وأيضا تنمية الجانب العلائقي مع الآخرين والتحكم في مشاعره وأحاسيسه خصوصا في الوضعيات الصعبة، إذن فهي أهداف تهتم أساسا تنمية موارد المتعلم البدنية والانفعالية.

### ✓ ثانيا تنمية كفايات ومعارف خاصة بالأنشطة البدنية والرياضية والفنية:

بعد أن تم الاعتراف بالرياضة كظاهرة ثقافية في ستينيات القرن الماضي، أخذت التربية البدنية كمادة مدرسية على عاتقها إدماج هذه الأنشطة الرياضية الثقافية في محيط المؤسسة التربوية وذلك بمزاومتها فعليا لاكتساب كفايات ومعارف متعلقة بها، ويكون بذلك هذا الهدف مركز على اكتساب معارف ثقافية رياضية.

### ✓ ثالثا التزود بمعارف متعلقة بمجالات الصحة والحياة:

وانطلاقا من مبدأ إعداد متعلم اليوم إلى حياة المستقبل وذلك لمواجهة وضعيات مشكلة متعلقة بالنشاط البدني للفرد كالوقاية ضد الحوادث الصحية، وحسن تدبير الحياة الرياضية للفرد وامتلاك ملكة نقد رياضي سليم فيمكن القول أنها أهداف تهتم الجانب المنهجي والسلوك الموجه نحو حسن تدبير الحياة البدنية للمتعلم. أما في السياق التعليمي المغربي، فقد اعتبرت التوجهات التربوية الخاصة بمادة التربية البدنية والصادرة سنة 2007، أن مادة التربية البدنية، مادة تعليمية إلزامية وجزء لا يتجزأ من التربية العامة في جميع أسلاك التعليم، وهي مادة دراسية تساهم من خلال مزاولة الأنشطة البدنية والرياضية في تنمية مؤهلات المتعلم، كما تتوخى إكسابه مهارات بدنية مصحوبة بالمعارف المرتبطة بها قصد تعويده على الاهتمام بصحته وجودة الحياة وجعله قادرا على التكيف مع بيئات مختلفة طوال حياته<sup>1</sup>.

وتتمثل أهم أهداف التربية البدنية والرياضية في اكتساب المتعلم لما يلي:

- ❖ المهارات الحركية وتنمية القدرات الإدراكية والحركية الأساسية.
- ❖ المعارف المتعلقة بمجالات الصحة ونوعية الحياة والبيئة.

1- التوجهات التربوية لمادة التربية البدنية والرياضية، مديرية المناهج، الرباط، نونبر 2007، ص5.

❖ اكتساب المواقف المرتبطة بأخلاقيات الرياضة والتنافس الشريف والقدرة على الاستقلالية وتحمل المسؤولية.

#### 6. حاجات المتعلم المراهق :

يحتاج المتعلم في هذه المرحلة من النمو (15-18 سنة) إلى ما يلي<sup>1</sup>:

- تنمية العلاقات الاجتماعية.
- تقمص أدوار مختلفة مبنية على العمل والحياة الاجتماعية.
- العمل مع الآخرين عبر الاحتكاك والمقارنة.
- نشاط أكثر حرية وأكثر دينامية.
- النشاط والتنظيم داخل الفرق.
- فرص التعبير عن الذات.
- تنوع الأنشطة وعدم تكرارها بانتقاء النشاط الترويحي الملائم ومزاولته مدى الحياة.
- حسن توظيف المجهودات البدنية.
- التوجه إلى التخصص الرياضي.
- معرفة كيفية الملاحظة والتقييم.
- معرفة القوانين والإنجازات الرياضية.

أما بالنسبة لمواصفات الخروج للمتعلم بسلك التعليم الثانوي التأهيلي الخاصة بالتربية البدنية والرياضية، فهي التمكن من معارف منهجية وعملية تساهم في إغناء التربية الصحية والاجتماعية والثقافية من خلال ممارسة الأنشطة البدنية والرياضية وذلك:

- بتعميق وعيه بالأثر الإيجابي للنشاط الحركي والرياضي على الصحة والعمل على تحويله إلى ممارسة مستديمة ومنظمة.
- بتطوير مكتسباته من كفاءات الأنشطة الحركية والرياضية والفنية الأساسية ذات الصلة بالمحيط المدرسي المحلي والجهوي.
- بتمكينه من انتقاء نشاط رياضي ومزاولته مدى الحياة.

نستخلص مما سبق الأهمية القصوى التي تحتلها مادة التربية البدنية والرياضية كمادة دراسية إلزامية لها منافع تربوية مهمة، تعنى بتكوين الأفراد تكويناً شاملاً لجميع أبعاد شخصيته النفسية والحسية الحركية والمعرفية، من خلال التفاعل مع وضعيات حركية تتطلب منه تجنيد وتوظيف جميع طاقاته النفسية والبدنية

والمعرفية في آن واحد. وهي تتميز عن باقي المواد الأخرى كونها تجعل من الجانب الحركي للمتعلم مدخلا لها للوصول إلى باقي الجوانب الأخرى وهو ما يجعلها أكثر متعة وحماسا بالنسبة للمتعلم أثناء ممارستها. فهل هي فعلا أكثر تأثيرا بالنسبة لتلاميذ مرحلة المراهقة خصوصا وأنها المرحلة الأكثر صعوبة بالنسبة للمتعلمين.

#### 7. تعريف المراهقة:

41

يمكن تقسيم حياة الإنسان عموما إلى مراحل نمو تتميز بخصائص وصفات تميز كل مرحلة على حدة، هذا لا يعني أن هناك إجماع على تقسيم دقيق بين مجموعة من العلماء المتخصصين وذلك بسبب تداخل مراحل النمو وارتباطها ببعض الأسباب المؤثرة فيه كالبينة والوراثة هذا يجعل تحديد كل مرحلة من مراحل الطفولة وكذلك كل مرحلة من مراحل المراهقة من الصعوبة بما كان، فعلى سبيل المثال هناك طفولة مبكرة وطفولة متوسطة وطفولة متأخرة ونفس الشيء بالنسبة للمراهقة (سلامة 2006-350)، وما يهمنا هنا هو مرحلة المراهقة نظرا لتزامنها مع مرحلة الثانوي التأهيلي أي ما بين 15 و 18 سنة، فعالبا ما يتم اعتبار هذه المرحلة مجرد مرحلة انتقالية من الطفولة إلى الرشد، إلا أنها تعتبر مرحلة قائمة بذاتها لها عقليتها وأصالتها وخصائصها<sup>1</sup>.

المراهقة، لغويا، يقال راهق الغلام، أي قارب الحلم ويقال أيضا : راهق الغلام الحلم، ويقال: صلى الظهر مراهقا، مدانيا للفوات، والمراهقة هي الفترة من بلوغ الحلم إلى سن الرشد<sup>2</sup>، والمراهقة تحديدا هي مجموع التغيرات النفسية والجسدية والاجتماعية التي تحصل بين نهاية الطفولة الثالثة (12-13 سنة) وسن الرشد (18-19 سنة) فهي مسيرة باتجاه النضج العاطفي والذهني والجسمي والاجتماعي والجنسي، وهي ما سماها روسو بالولادة الثانية، وهناك مرادفات قريبة من مفهوم المراهقة وجب التمييز فيما بينها: البلوغ وتستعمل هذه اللفظة لدلالة على الأبعاد الفيزيولوجية والجسمية والصفات الجنسية الثانوية على اعتبار أن المراهقة تركز على الأبعاد النفسية (التكيف مع الذات). الشباب تركز اللفظة على الجوانب الاجتماعية (التكيف مع المحيط).

#### 8. المراهق والتفاعلات داخل الوسط المدرسي:

يعتبر الوسط المدرسي، مؤسسة من المؤسسات الاجتماعية التي سبق الإشارة إليها، لها معاييرها ومبادئها وأساليبها الخاصة، الشيء الذي يستدعي المراهق للتكيف معها ومحاولة الاندماج في هذه المنظومة والتي غالبا

1- عبد الغي الديدي، التحليل النفسي للمراهقة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995، ص7.

2- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ص378.

ما يكون التوافق معها شيئاً مرهقاً بالنسبة له، هذا التوافق المنشود بين المراهق ووسطه المدرسي يلعب دوراً هاماً في تحديد معالم مستقبله الاجتماعي والمهني وبلورة شخصيته وتكوينها تكويناً رصيناً في المستقبل فمن الطبيعي أن متطلبات التكيف مع البيئة المدرسية ستختلف باختلاف مستويات النظام المدرسي، حيث أن متطلبات التعليم الأساسي تختلف تماماً عن متطلبات التعليم الثانوي وفقاً لكل مرحلة نمائية وخصائصها المختلفة، وإن ما يميز هذه الفترة بالأساس عن فترة الطفولة هو بحث المراهق عن استقلالته وإثباته لذاته وإبراز كينونته المستقلة، وسعيه منه نحو تحقيق هذه الغاية يحدث الاصطدام بين كينونة تسعى إلى الحرية والاعتراف ومنظومة مثقلة بالقواعد ومعايير السلوك، تجعل المراهق مطالباً لبذل أقصى جهوده لتحقيق أفضل تلاؤم مع متطلبات هذا الواقع الجديد بالنسبة إليه، في الواقع يجب أن يكون المجهود من كلا الطرفين سعياً نحو تحقيق هذا التوافق، ومنه تحقيق شخصية قوية مستقلة قادرة على تحقيق مردود دراسي جيد، تستجيب المؤسسة التربوية خلالها للحاجيات والخصائص النمائية لهذه الفترة التي يمر منها المراهق، ويحصل من خلالها التكامل والتوازن لا التعارض والتنافر، ومن ثمّ تتيح هذه المؤسسة:

- فرص التدريب على الاستقلال الذاتي عن طريق تكرار فرص الاعتماد على النفس في حل مشاكل مختلفة تواجهه.
  - تتيح للمراهق أيضاً فرص الاحتكاك بمشاكل مختلفة داخل الفصل الدراسي، وهي شبيهة بالمشاكل العلائقية التي ستواجهه مستقبلاً داخل الأسرة أو المجتمع، وتعطيه أيضاً فرصاً لبناء الهوية الذاتية والهوية الثقافية من خلال المناقشات التي يشارك فيها داخل الفصل الدراسي، أمام مدرسه ومع زملائه ويبنى ذاته ويحقق هويته ويعمق الإحساس بالوعي بها مما يشكل أثراً إيجابياً في نضجه وتطوره.
  - تتيح هذه المؤسسة التربوية فضاءً لبناء نسقه الفكري، مما يساعده على اكتساب أرقى العمليات العقلية من افتراض واستنباط وتقييم تطور تفكيره بنفسه، كما تساعده على استدماج مجموعة من القوانين والمبادئ وتساعد على الاندماج في الوسط الاجتماعي العام للراشدين مستقبلاً.
- وبناء على ذلك يكتسب المراهق مهارات وقدرات ويتدرب على أساليب السلوك النظامي داخل هذه المنظومة المدرسية مما يساهم في بناء شخصية في مختلف أبعادها الجسمية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية، وهذا البناء المتوازن سيمنح المراهق تدريجياً جميع الأشياء المختلفة التي يتفاعل معها في عالمه الخاص معنى ودلالة<sup>1</sup>. وعموماً يمكن القول أن بنية المؤسسة التربوية المكونة من المدرسين وزملاء الدراسة والبعد التنظيمي المؤسسي

للمدرسة يشكل مجموعه عاملا طبيعيا يمكنه أن يساعد على النمو الاجتماعي والعاطفي للمراهق، وفيما يلي سنقوم بتحليل العلاقات التي قد تربط المراهق بوسطه المدرسي.

#### أ - خصائص العلاقة بين المتعلم المراهق والمدرّس:

يعتبر مفهوم العلاقة التربوية مفهوماً جدياً واسعاً كما حدده بوستيك M.POSTIC في "مجموع العلاقات الاجتماعية التي تتكون بين المربي والأفراد الذين يربهم للسعي نحو تحقيق الأهداف التربوية داخل بنية مؤسسية معينة، علاقات ذات خصائص معرفية وعاطفية محددة، تعيش استمراراً ولها تاريخ إيدن في علاقة جدياً موسعة ولا تقتصر فقط على المدرس بل على كل مكونات المنظومة التربوية فيما بينها.

وفيما يخص علاقة المتعلم بالمدرسة فهي تتضمن ثلاثة جوانب متداخلة فيما بينها ومتبادلة التأثير والتأثر وفق مقارنة نسبية يتفاعل فيها المدرس مع المتعلم في مجال تربوي يمثله الفصل الدراسي وهذا الأخير يتفاعل بدوره داخل مجال أوسع وهو المؤسسة المدرسية بكل مكوناتها، وهذه العلاقة تنطلق من ميثاق مشترك يربط بين المدرس والمتعلم وهو البرامج والمقررات الدراسية، وأخيراً فإن هذه العلاقة ليست في حد ذاتها علاقة ثنائية وإنما يتأثر التواصل بينهما بمجال الفصل الدراسي الذي يشغله عدد كبير من المتعلمين، لقد كانت هذه العلاقة محط دراسات ميدانية تناولتها بالوصف والتحليل، وقد ركزت معظمها على الخصائص والصفات التي يرغب المتعلم توفرها في المدرسة. ومن خلال قراءات متعددة يتضح لنا أن هناك صفات مطلوبة تشكل قاسماً مشتركاً بين جميع المتعلمين ويتمنون أن تتوفر في مدرّسهم من قبيل: التفهم، التسامح والحزم.

#### ب - والأصدقاء وزملاء الدراسة :

تعتبر فترة المراهقة، مرحلة إقامة صداقات بين المراهقين بامتياز، ولا أحد يمكنه إنكار مثناة هذه الصداقة وعمقها، خصوصاً في فترة يتوجه فيها المراهق للانفتاح على عالم خارجي بعيداً عن عالمه الأسري والمدرسي المعتاد، فالمراهقون والمراهقات يعطون أهمية قصوى لصداقتهم مع الغير في فترة مليئة بالأزمات بالنسبة إليهم، فترة قد يتعذر فيها على الجميع فهمه والإحساس بمشاكله إلا باللجوء إلى صديق حميم هو أيضاً في نفس المرحلة قد يفهمه ويواسيه ويبحث معه عن حلول لمشاكله الطارئة فنادر ما نلاحظ داخل فضاء المؤسسة التربوية مراهقاً أو مراهقة منعزلاً، لا يتحدث خلال فترة الاستراحة أو بعد نهاية الفصل الدراسي، مع صديق يمشيان جنباً إلى جنب يتشاركان هموم الدراسة وربما يتوسعان ويتبادلان أطراف الحديث ليشمل جميع مشاكل وهموم الحياة، لدرجة أنهما يصبحان نسخة طبقاً للآخر في الملبس والمأكل وطريقة تسريح الشعر، شديد الولاء والمحبة

و التقدير لبعضهم البعض. أمام هذه العلاقة الصلبة التي تربط بين هذه المجموعات من المراهقين جعلت بعض الباحثين يذهبون إلى القول بان المجتمع المعاصر يشهد انتقال السلطة من الآباء إلى جماعات المراهقين، هذه الأخيرة أصبحت تزود المراهق بالعديد من القيم والاتجاهات وأساليب التفكير ومقاييس الحكم على مختلف الموضوعات<sup>1</sup>، وتتجلى خطورة هذه المجموعات عندما تكون معتنقة لأفكار سلبية قد تؤثر على شخصية المراهق، وفي هذه الحالة تزداد صعوبة المؤسسات الأخرى (الأسرة، المدرسة وجمعيات المجتمع المدني) في التأطير والإرشاد وتوجيه هؤلاء المراهقين باتجاه تجنب هذه المجموعات وعدم الاختلاط بها.

نخلص مما سبق أن علاقة المراهق بوسطه المدرسي هي علاقة نسقية تربطه بمجموع مكونات عناصر هذه المنظومة من مدرسين، أصدقاء، زملاء، أطر إدارية، مقررات وبرامج دراسية، تمنح هذه العلاقة درجة عالية عن التأثير والتأثر ودينامية متواصلة باتجاه بناء هذه الشخصية المستقلة والمتحملة للمسؤولية والتي يصبو إليها المراهق نفسه.

### ج - تطور ميولات ومواقف المراهق:

أكد أحمد أوزي أن الباحث جزل A.Gisell قام بتتبع ودراسة ميول المراهقين واهتماماتهم خلال هذه الفترة بكثير من الدقة في كتاب القيم " المراهق من 10 الى 16" وقد لاحظ الباحث جيزل أن الرياضة تكتسي أهمية كبرى في سن الثانية عشر وإن كان التفوق والبروز فيها لا يتم بعد، والذين لا يملون إلى مزاولة أنشطة رياضية قد تظهر لديهم ميولات نحو المطالعة القصصية والحكايات المتعلقة بالمغامرات المليئة بالغرائب والأعاجيب، وقد أكد هذا الباحث أن ميولات المراهقين الذكور تبدأ تتبلور في هذه المرحلة عكس الإناث اللواتي لا تزال ميولاتهم جد متغيرة، ومع سن 14 تنمو لدى المراهق القدرات الجسمية أكثر ويحس بالرغبة في اختبارها، فتبدأ ملامح الأبطال الرياضيين تتشكل خصوصا إذا وجدت العناية والتوجيه المناسب، أما بالنسبة للإناث فتظهر لديهن الرغبة في التواصل مع الغير. خصوصا باستعمال وسائل الاتصال الحديثة كالهاتف والحاسوب، واعتبر "جيزل" أن سن الخامسة عشر هو سن ارتداء الميول، بحيث لا تظهر لدى المراهق ميولات جديدة بقدر ما يحافظ على الميولات نفسها ويسعى إلى تعميقها، كما لاحظ الباحث أن في هذه السن تظهر لدى المراهق علامات الاسترخاء والاستسلام للراحة، والشعور بنهك جسدي، يظهر من خلاله المراهق خلال هذه الفترة عداً اتجاه المدرسة وقد يؤدي ذلك عند بعضهم إلى إحداث الرغبة بمغادرة المدرسة نظراً لعدم توافقيهم مع محيطهم شخصياً واجتماعياً، أما أحمد أوزي فقد نبه بناء على الدراسة التي قام بها مندوس P. Mendousse في كتابه

عن وصف نفسية المراهق *l'âme de l'adolescent* أن الظواهر الطبيعية تؤثر بدورها على المراهقين في هذه الفترة، تأثيراً لا يخاطب العقل فقط، وإنما يخاطب الجانب العاطفي الجمالي من شخصية المراهق. "إنما العالم الخارجي يمارس على المراهقين تأثيراً وجدانياً وأخلاقياً وليس تأثيراً عقلياً"<sup>1</sup>. وعموماً خلال هذه الفترة ينقص الاهتمام بمزاولة الأنشطة الرياضية بصفة منتظمة، وتقتصر مزاولة هذه الأنشطة على وقت الفراغ بصفة متقطعة كما تميل إلى التخصص في نوع واحد ككرة القدم أو كرة السلة ونظراً لميولات واتجاهات الفرد في تحقيق سعادته ووجوده مستقبلاً باعتبارها أحد وسائل التعبير عن الذات وتفجير طاقاتها الخلاقة ينبغي أن تلعب المؤسسة التربوية دور إبرازها وتشجيعها بالإضافة إلى مرافقتها عبر مجموعة من الأنشطة الموجهة نحو تطويرها وترشيدها حتى تتحقق أهدافها السامية.

### 9. العنف والسلوك العدواني :

أصبحت ظاهرة العنف والسلوك العدواني تشكل جزءاً لا يتجزأ من الحياة الإنسانية بل وأصبحت ظاهرة مألوفة في كل زمان ومكان كثيرة المشاهدة في الأفلام والمسلسلات والأخبار التي نشاهدها عبر قنوات العالم، ومع ذلك لا أحد ينكر درجة الإحباط والاشمئزاز الذي تخلفه في نفوسنا نظراً لبشاعة مخلفاتها والنتائج التي تترتب عنها. ليصبح اليوم العيش في سلام وطمأنينة مطلباً أساسياً ومطمحاً غالباً للإنسانية على وجه الأرض التي عانت ما عانت من حروب وقتل وتعذيب على مر التاريخ. إن ظاهرة العنف أصبحت ظاهرة ممتدة طويلاً وعرضاً في جميع مستويات ومؤسسات التنظيم البشري، فحتى المؤسسات التربوية التي تعنى أساساً بتربية أطفالها وشبابها وتهذيب سلوكهم وجعله يتوافق وقيم مجتمعاتهم، بالإضافة إلى السهر على استدماج قواعد السلوك المدني رغبة منها في تيسير اندماجهم وتكيفهم في وسطهم الاجتماعي، لم تسلم مع كامل الأسف من هذه السلوكيات العدوانية التي تدفعنا إلى طرح مجموعة التساؤلات حول مكان الخلل وذلك لوصف العلاج المناسب، نظراً لما تحمله هذه الظاهرة من أثر سلبي وتشويش على تحقيق الغايات التي وجدت من أجلها هذه المؤسسات المجتمعية.

### أ - مفهوم العنف:

العنف لغة من فعل عنف به، وعليه عنف عنفاً، وعنافة أي أخذه بشدة وقوة، وعنف لأمه وعيره فهو عنيف، ونقول اعتنف الأمر أي أخذه بعنف، و اعتنف الشيء، كرهه يقال اعتنف الطعام<sup>2</sup>.

1- أحمد أوزي: مرجع سابق، ص 179.

2- المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص 631.

ويعرفه إريك ديباربيو على أنه كل ما يحدث لشخص ويعتبره هذا الأخير على أنه سلوك عنيف، وفي الواقع لا يوجد نوع واحد من العنف بل هناك أشكال متعددة يمكن ترتيبها وفق شكلين، شكل مرئي واضح كالصرخ والضرب وشكل غير مرئي أو يبدو كذلك من الخارج<sup>1</sup>، وقد حدده مصطفى حجازي في كتابه سيكولوجية الإنسان المقهور على "أنه الوسيلة الأخيرة في يد الإنسان للإفلات من مأزقه ومن خطر الاندثار الداخلي الذي يتضمنه هذا المأزق"، فهو يعتبر السلاح الأخير لإعادة شيء من الاعتبار المفقود إلى الذات من خلال التصدي مباشرة أو مداورة للعوامل التي يعتبرها مسؤولة عن ذلك التبخيس الوجودي الذي حل به، ويصبح آنذاك لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين حين يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي وحين ترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمه<sup>2</sup>، والعنف هو الوسيلة الأكثر شيوعا لتجنب العدوانية التي تدين الذات الفاشلة من خلال توجيه هذه العدوانية إلى الخارج، وكلما تجاوزت حدود الاحتمال الشخصي، فهو الوجه الآخر للإرهاب والقهر اللذين يفرضان على الإنسان لاسيما في المجتمع المتخلف، ويعرف العنف على أنه نهاية المطاف سلوك عدواني مستمر، فهو يمكن اعتباره آخر وسيلة للتعبير عن النزوات العدوانية، ومن هنا يظهر لنا الفرق بين العدوان والعنف، فهذا الأخير له طابع مادي بحث، في حين أن العدوان يشمل المظاهر المادية والمعنوية معا<sup>3</sup>، إذن فالعنف يعتبر أقصى درجات السلوك العدواني، وينبعث منه، بحيث لا يوجد عنف بدون شعور مسبق بالعدوان، فهو بمثابة وسيلة يتم التعبير بواسطتها عن العدوان<sup>4</sup> وهو أقصى درجات هذا التعبير.

وما يمكن استنتاجه من هذا التحديد الأخير أن العنف يتجاوز العدوانية من حيث الدرجة ويمكن أن يتخذ أشكالا سلوكية متعددة، فقد وصفها مصطفى حجازي على أنها سلوكات تنخر في الوجود الإنساني لاسيما المقهور منه، وهي عبء وتهديد للتوازن النفسي و دافع للإقدام على بعض تصرفات تدمير الذات وكدفاع وانتفاضة ضد التهديدات التي تأتي من الخارج<sup>5</sup>.

1 - EricDebarbieux, la violence dans la classe, ESF éditeur, paris,1990, p 22.

1-مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، ط 9، الدار البيضاء، 2005، ص 165.

3- محمد علي عمارة، برامج علاجية لخفض مستوى السلوك العدواني لدى المراهقين، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2008، ص 33.

4-مصطفى حديد، قضايا في علم النفس الاجتماعي، منشورات المجلة المغربية لعلم النفس، 2013، ص 173.

5- مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص 167.

## ب - مظاهر وتجليات العنف:

بالنسبة لمظاهر العنف، فإننا نجد العدوانية تنخر وجود الإنسان ولاسيما المقهور منه، فهي تعتبر عبئاً وتهديداً للتوازن النفسي، ودافعاً للإقدام على بعض تصرفات تدمير الذات كدفاع وانتفاضة ضد التهديدات التي تأتي من الخارج<sup>1</sup>، وقد أشارت الباحثة سناء محمد سليمان<sup>2</sup> إلى عدة أنواع من العنف:

## ❖ العنف الأسري:

ويتمثل في العديد من الصور ومنها:

- العنف ضد المرأة والطفل.
- الإساءة للطفل أو استغلاله.
- الاعتداءات الجنسية.
- الخلافات بين الآباء والأبناء.
- الخلافات بين الأقارب والعائلات.

## ❖ العنف الاجتماعي وهو كالاتي:

- الخلافات مع جماعة الرفاق.
- الخلافات مع الآخرين في البيئة الاجتماعية.
- الخلافات بين العائلات.

## ❖ العنف السياسي ويتمثل في:

- الأزمات والصراعات السياسية.
- الحروب.

## ❖ العنف الإعلامي: ويتمثل في:

- ما تبثه وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية حول مواضيع عن العنف،
- المشاهدة الفعلية لأحداث العنف.

## ❖ العنف من خلال المهنة أو العمل:

- الخلافات بين العاملين.

1- مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص 167.

6- سناء محمد سليمان، مشكلة العنف والعدوان لدى الأطفال والشباب بين الخير والشر... الصواب والخطأ، عالم الكتب، ط 1، القاهرة، 2008، ص 21.

- العراك بين الموظفين، ورؤسائهم في العمل.
- العنف من خلال الحوادث والأزمات والكوارث الإنسانية والطبيعية.
- العنف الرياضي:
- شغب الملاعب.
- إيذاء الآخرين والاعتداء عليهم.
- التخريب والاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة.

#### ❖ العنف المدرسي ويتمثل في:

- تسلط المعلمين واستخدام العقاب البدني في التعامل مع المتعلمين.
  - الخلافات مع المعلمين.
  - الخلافات، والشجار والعنف الطلابي.
  - التمرد على أنظمة المدرسة.
  - إثارة الشغب والفوضى مما يعيق سير العملية التربوية.
  - الترويج للعقاقير المسكرة أو المواد المخدرة أو مواد المؤثرات العقلية.
- وهناك مظاهر أخرى للعنف والسلوك العدواني بشكل عام تتمثل فيما يلي<sup>1</sup>:

#### ❖ العنف الجسدي:

ويعرف على أنه استخدام للقوة الجسدية بشكل متعمد اتجاه الآخرين من أجل إيذائهم، وإلحاق أضرار جسمية بهم، ويتم استعماله أيضا كوسيلة للعقاب بغرض إحداث آلام وأوجاع، مما قد يسبب بالموازاة مع هذه المعاناة، معاناة أخرى نفسية، ومن الأمثلة الرامية لاستخدام العنف الجسدي هناك: الضرب، الحرق، الكي بالنار والركل بالأرجل، واللكم والحرق، وإطلاق النار والدفن والطعن والقرص...

#### ❖ العنف النفسي:

ويحدث هذا العنف من خلال إحداث أضرار نفسية للفرد، وقد تحدث تلك الأفعال على يد شخص، أو مجموعة من الأشخاص الذين يمتلكون القوة، والسيطرة، ويعتبر فرض الآراء على الآخرين بالقوة هو أيضا نوع من أنواع العنف النفسي، ومن الأمثلة أيضا، رفض وعدم قبول الفرد، الإهانة، التخويف، التهديد، العزلة، الاستغلال، البرود العاطفي الصراخ، توجيه التهديد، كسر الأمتعة والممتلكات أو التهديد بفعل العنف والتحرش.

1- محمد علي قطب الشمهري، وفاء محمد عبد الجواد: عدوان الأطفال، مكتبة العبيكان، ط 2، الرياض، 2000 ص 21.

وهناك أيضا بعض السلوكيات التي لا يعيرها الكبار أي انتباه وتشكل في حد ذاتها عنفا على نفسية الفرد كاللامبالاة، وعدم الاكتراث بشؤونه الخاصة ومشاركة همومه، بل أكثر من ذلك إهانته وعزله، ويعرف الإهمال بالنسبة للفرد على أنه وسيلة يتم استخدامها من طرف الكبار للمعاقبة تارة وقد تكون عفوية تارة أخرى وهي عدم تلبية رغبات الفرد الأساسية لفترة مستمرة من الوقت، ويمكن تصنيف الإهمال الى صنفين: إهمال مقصود وإهمال غير مقصود.

### ❖ العنف اللفظي:

ويعتبر القاسم المشترك بين كل اللغات الإنسانية حيث يتمثل العنف اللفظي أساسا في الكلام البذيء: كالسب، والشتم، ويكون الغرض منه التقليل من كرامة الأفراد، أو منعهم من ممارسة الحق الطبيعي بحرمان الفرد من التعبير عن أفكاره بحرية أو إجباره على تبني أفكار الآخرين بالقوة، واستعمال عبارات التحقير والإهانة والإهمال...

### ج - العنف المدرسي:

ونظرا لصلة هذا النوع بموضوع دراستنا، سنتناوله بالدراسة والتحليل والوقوف على جميع أشكاله وتجلياته داخل المؤسسة التربوية، فقد أصبحت هذه الظاهرة من الظواهر الملفتة للنظر خصوصا في السنوات الأخيرة، ومع استعمال أحدث تقنيات التواصل نلاحظ استفحالا مهولا لهذه الظاهرة وانتشارها في الوسط المدرسي، والذي من المفروض أن يتسم بالانضباط والنظام واحترام آداب السلوك والامتثال للقوانين التي تفرضها المؤسسة التربوية، فهذه الأخيرة كانت إلى وقت قريب تتمتع بقدسية وإجلال كبيرين، يسودها جو من الاحترام والتقدير لوهاب العلم والمعرفة، ويشعر خلالها المتعلم بنوع من الخشوع والرهبة واحترام المكان الذي يتردد عليه لاكتساب هذه المعرفة إلا أن الملاحظ اليوم، المدرسة المغربية تعرف مظاهر متعددة من العنف والصراع بين المتعلمين والأساتذة، وهو واقع يחדش طابعها القدسي، بل أكثر من ذلك أصبحت مسرحا لكثير من أعمال العنف والشغب<sup>1</sup>، وعموما فالعنف المدرسي ليس وليد الساعة، لكنه أصبح اليوم ظاهرة منتشرة تكاد تمس معظم المؤسسات التربوية المغربية، ويمكن تحديده حسب موضوع دراستنا بكونه كل تصرف ناتج عن تلميذ اتجاه آخر، ويؤدي هذا العنف إلى إلحاق الأذى بالآخرين، وقد يكون هذا الأذى عبارة عن أذى جسدي أو نفسي أو مادي.

1- أحمد أوزي، مرجع سابق، ص 123.

إذن ما هي العوامل المولدة للعنف المدرسي؟

تعتبر هذه العوامل متعددة فمنها:

#### ❖ عوامل اجتماعية:

يلعب الموقع الذي توجد فيه المؤسسة التربوية دورا مهما في تفشي ظاهرة العنف المدرسي من عدمها، فغالبا ما تكون الظاهرة جد متفشية في المؤسسات التي يكون غالبية تلامذتها ينحدرون من مناطق معزولة وأحياء سكنية مهمشة وهذا يعكس بجلاء الدور الذي تلعبه الظروف الاجتماعية في دفع المتعلم على الإقدام على ممارسة فعل العنف داخل المدرسة، ففي ظل أسرة فقيرة تعاني من الأمية والحرمان والقهر والإحباط النفسي، كلها عوامل تجعل من أبناء هذه الأسر أكثر عرضة لاضطرابات ذاتية، غير متوافقين ذاتيا واجتماعيا ونفسيا مع محيطهم الخارجي وتعزز لديهم انفعالات ومشاعر مليئة بالحقد والكراهية والغضب والحسد اتجاه الآخرين، وهي انفعالات ومشاعر تتحول في معظم الحالات إلى سلوكيات عدوانية، خصوصا عندما تأتي هذه الانفعالات والمشاعر كردة فعل نتيجة موقف أحسوا معه الإذلال أو المهانة أو الاحتقار من أي شخص كيفما كان، وبالتالي فالبناء النفسي والاجتماعي لهؤلاء الأفراد يجب أن يتسم بالعناية المركزة، وأن يسلك مبدأ التعاون والتكامل بين مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية وفي مقدمتها الأسرة والمدرسة.

#### ❖ عوامل نفسية:

إن ما تم التطرق إليه من عوامل اجتماعية غالبا ما يتم التأسيس إليها اعتمادا على كل ما هو نفسي من تولد انفعالات ومشاعر التي تأتي كردة فعل اتجاه مواقف اجتماعية، ويقول سيغموند فرويد في هذا الصدد "إن الشخص الذي سيجد نفسه متفوقا في القوة سيسعى لفرض سيطرته بالعنف وتكرر اللعبة إلى ما لا نهاية، لذلك لا بد من وضع تركيبات لتوقع مخاطر التمرد، والإشراف على تنفيذ إجراءات العنف المشروعة"<sup>1</sup>. هذا يعني أن مسألة وراثية العنف أو بشكل أعم السلوك العدواني أمر غير وارد، بل أن ما قد يصدر عن المتعلم من سلوك عدواني يخضع لعلاقة تأثير وتأثر بالمحيط الخارجي ويتفاعل كبير مع البيئة الجغرافية والاجتماعية التي يعيش المتعلم في كنفها، ذلك أن المؤسسة التربوية تشكل نسقا مفتوحا على المحيط الخارجي أي على أنساق أخرى، اجتماعية واقتصادية وبيئية... فالوسط المعيشي لهؤلاء المتعلمين هو المحدد الأساسي لشخصيتهم، فالجينات لا تخلق أشخاصا لهم استعداد للعنف أو أي سلوك عدواني، وكل منا قد يمارس فعل العنف بدرجة أو بأخرى في يوم من الأيام، فإذا كانت درجة العنف في الحدود المعقولة كان الإنسان سويا يتمتع بالصحة

1- سيغموند فرويد، أفكار لأزمة الحرب والموت. ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 2، 1981 ص 46.

النفسية وإن كان العكس فيمكن القول أن هذا الشخص قد يعاني من اضطرابات نفسية. إن أفضل طريقة للتعامل مع الانفعالات القوية هي الوعي بها ومواجهتها، لأن معظم السلوكيات العدوانية تتولد عن الانفعالات التي يتعرض لها الشخص في حياته اليومية، لهذا يعتبر الغضب يعتبر من الانفعالات المرتبطة بظاهرة العنف خصوصا في مرحلة المراهقة.

#### ❖ عوامل تربوية:

تعتبر العوامل التي تحيط بالظروف التربوية في المجال المدرسي من العوامل المؤثر في ظاهرة العنف بالمدرسة، وتظم مجموعة من المتغيرات التي تؤثر إيجابا أو سلبا في خلق جو يسوده التعاون والانضباط والاحترام المتبادل بين مكونات العملية التعليمية التعلمية، منها توفر المؤسسة على الموافق الصحية الضرورية، الأسلوب التعليمي المتبع من طرف المدرس ومدى قدرته على خلق فضاء من التوصل والتفاهم مع تلامذته وإدراكه لحاجياتهم ومراعاة فروقهم الفردية وتجنب الإتيان بالسلوكيات العنيفة اتجاههم، فكلها متغيرات قد تؤثر بشكل أو بآخر في ظهور السلوكيات العنيفة لدى المتعلمين فكل هذه العوامل تجعل من ظاهرة العنف ومسبباتها تتميز بحركية يصعب معها وضع الأصبع على سبب واحد وموحد من العوامل وادعاء أنه هو الوحيد أو الرئيسي والأسباب الأخرى فقط مجرد عوامل وأسباب ثانوية وتابعة وتوجد كلها في وضعية تأثير وتأثر وتفاعل مستمر لدرجة أنه لا يمكن الجزم بانها ظاهرة يمكن القضاء عليها واجتثاثها خلال فترة قصيرة بل الأمر يتطلب استراتيجية طويلة الأمد.

وللعنف المدرسي عدة مظاهر وأشكال منها:

❖ من تلميذ لتلميذ آخر. ونجد هذا الشكل من خلال الملاحظة اليومية نجد يتمظهر ويتمخذ تمظهرات متعددة منها.

- الضرب: باليد، بالدفع، بأداة، بالقدم وعادة ما يكون الطفل المعتدى عليه ضعيفا لا يقدر على المواجهة.
- التخويف: ويكون عن طريق التهديد بالضرب المباشر لأنه أكثر منه قوة أو التهديد بالأصدقاء أو الأقارب.
- التحقير من الشأن لكونه غريبا عن المنطقة أو لأنه أضعف جسما أو لأنه يعاني مرضا أو إعاقة أو السمعة السيئة لأحد أقاربه.
- نعته بألقاب معينة لها علاقة بالجسم كالطول أو القصر أو غير ذلك أو لها علاقة بالأصل (قرية - قبيلة). السب والشتم.

❖ من الأستاذ أو الطاقم الإداري تجاه المتعلمين: وما هو ملاحظ في هذا الصنف ويتكرر داخل المؤسسة التربوية ما يسمى بالعقاب الجماعي عندما يقوم الاستاذ بعقاب جماعي للفصل سواء بالضرب أو الشتم بسبب إثارة الفوضى والشغب داخل الفصل الدراسي.

- الاستهزاء أو السخرية من تلميذ أو من مجموعة من المتعلمين.
- الاضطهاد.
- غياب الإنصاف في المعاملة.
- عدم السماح بمخالفته الرأي حتى ولو كان المتعلم على صواب.
- التهميش وعدم الاكتراث بمشاكله وهمومه.
- النظرة القاسية.
- التهديد المادي أو التهديد بالرسوب.
- إشعار المتعلم بالفشل الدائم.

❖ من المتعلمين تجاه الأساتذة وكل العاملين بالمؤسسة: ويتخذ بدوره نوعين عنف جسدي وعنفي لفظي، ويعتبر أشد المظاهر تأثيراً في الوسط المدرسي وهو بدوره قد يحدث أوجاعاً ومعاناة نفسية، وكأمثلة على ذلك: الحرق، أو الكي بالنار، رفس بالأرجل، خنق، ضرب بالأيدي أو الأدوات لأعضاء الجسم، دفع أو لطمات، هذا بالنسبة للعنف الجسدي أما بخصوص العنف اللفظي فقد يتخذ المتعلم من الآخرين (الأستاذ وزملائه العاملين بالمدرسة) مجالاً للضحك والتسليية والاستهزاء بهم، وتزداد هذه السلوكيات حدة خصوصاً أمام رفاقه رغبة في إظهار تفوقه وتميزه لجذب الأنظار إليه، ويشمل العنف اللفظي السب والشتم أو التعبير بطريقة لفظية عن احتقار الآخرين أو توجيه الإهانة إليهم بالفحش والبذاءة في القول.

وعموماً يمكن القول إن العنف المدرسي هو ظاهرة غير صحية تنتج عنها آثاراً سلبية يشعر بها المتعلمون والآباء والمدرسون على حد سواء منها الأضرار الجسمانية والنفسية التي تمس المتعلمين والأساتذة وكل العاملين بالمؤسسة التربوية، كما أن التكاليف المادية لمواجهة الظاهرة تزايدت هي أيضاً بشكل مطرد، وتمس أيضاً هذه الظاهرة الأسر والمجتمع بشكل عام ومن مخلفاتها:

- تدمير ممتلكات المؤسسة وأبنيتها وتشويهها.
- زيادة نسبة الانحراف بين صفوف المتعلمين مثل تعاطي المخدرات، السرقة، النصب والاحتيال.
- الخروج عن سلطة الأسرة والمدرسة.
- الهدر المدرسي.
- الفشل الدراسي.
- زيادة نسبة الجهل والامية.

وعليه نستخلص مما سبق تعدد صور التعبير عن العنف وأشكاله، بل هناك أيضا تداخلا فيما بينها، وتتحد كلها في غاية إلحاق الضرر والأذى بالمعتدى عليه سواء، كان هدفا في حد ذاته أو وسيلة لتحقيق شيء معين.

### ❖ التفسير البيولوجي للعنف

ارتبط الاتجاه البيولوجي في تفسير السلوك العنيف بالأبحاث التي قام بها الطبيب الإيطالي لومبروزو، وانطلق هذا الطبيب في أبحاث من تشريح جثث بعض أشهر المجرمين وذلك للوقوف على أهم الخصائص والصفات المورفولوجية لهذه الجثث، حيث لاحظ على سبيل المثال في مؤخرة جبهة المجرم فراغا مجوفا شبيها بذلك الموجود لدى القردة، الأمر الذي انتهى بلومبروزو إلى التقرير بأن المجرم وحشي بدائي، وهو قاطع طريق اشتهر بممارسة العنف في جنوب إيطاليا<sup>1</sup> وعلى ضوء هذه الأبحاث حدد هذا الطبيب مجموعة من الصفات الأخرى ومن بينها:

- عدم تناسق شكل الجمجمة.
- ضخامة الفكين.
- بروز عظام الخد.
- رقة الشفة العليا عن السفلي.
- كبر الأذنين، وكثافة الشعر.

وبعد ذلك قام لومبروزو بتطوير نظريته ليتحول المجرم من المجرم الوحشي البدائي إلى المجنون النفساني أو المتشنج العصبي عندما قام بدراسة حالة مجرم آخر وهو الجندي MISDEA حيث أرجع هذه المرة الجريمة إلى تشنجات عصبية تدفع إلى ارتكاب أفعال عنيفة<sup>2</sup>، وقد أضاف مجموعة من الصفات النفسية إلى تلك الصفات المورفولوجيا الأولى ومن بينها:

- ضعف الإحساس بالألم.
- الميل إلى العدوان.
- انعدام شعور الخلق.
- قصر النظر والغرور.

كما ذهب لومبروزو إلى أبعد من ذلك عندما أراد أن يؤسس لنظريته، عندما قام بتفسير النسبة القليلة من العنف لدى الإناث مقارنة بحجم العنف الذي يرتكبه الذكور، وقد عزا ذلك لأسباب بيولوجية بحثة، حيث

1- عبد الله عبد الغني غانم، جرائم العنف وسبل المواجهة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الطبعة الأولى، الرياض، 2004، ص 66.

2- عبد الله عبد الغني غانم، المرجع نفسه، ص 66.

أرجع ندرة الإجرام بين النساء، إلى أنهن يظهرن علامات ارتدادية أكثر من الرجال، لأنهن ببساطة أقل تطوراً من الرجال من حيث المركز التطوري والبعد عن أصولهن، ويشير هنا إلى أن مفهوم الردة ATAVISM هو كل ما هو مضاد للمجتمع، وكل ما هو جريمة، ما هو إلا مخلفات من المراحل التطورية الأولى للإنسان<sup>1</sup>، وقد سعت مجموعة من البيولوجيين منذ ستينات القرن الماضي إلى تفسير مظاهر العنف من الناحية البيولوجية ووصفه على أنه شذوذ يصيب التركيبة الجينية أو الوراثة للإنسان، واتخذت هذه الأبحاث منحى الكشف عن تكوين الكروموزومات لدى ذكور المجرمين وإنائهم، حيث توصلت إلى أن الزوج الثالث والعشرين من الصبغيات أو الكروموزومات وهو الزوج المتعلق بتحديد الجنس البشري، ويتكون لدى المرأة من صبغين متشابهين وكلاهما (X) ولدى الرجل من صبغين مختلفين أحدهما (X) والآخر (Y) وأفادت هذه الدراسات أن الأفراد الذين يتميزون بالعدوانية والذي اعتقلوا بسبب ارتكابهم شتى أنواع العنف تظهر لديهم في أغلب الأحيان حالات من الشذوذ في صبغياتهم الجنسية، ووجدوا أن زيادة (X) واحدة أو اثنين قد تسبب تخلفاً عقلياً، وفي المقابل زيادة (Y) واحدة قد يكون لها تأثير في الغرائز الإجرامية<sup>2</sup>.

وفيما يخص التفسير البيولوجي الحديث لمظاهر العنف، تعتبر النتائج التي توصل إليها فريق هولندي بالتعاون مع علماء من الولايات المتحدة دالة على الجانب البيولوجي الوراثي لمظاهر العنف، حيث اكتشف هذا الفريق صدفة أن الرجال في إحدى العائلات الهولندية قد ارتكبوا على مدى خمسة أجيال أعمال عنف، واغتصاب وإحراق ممتلكات، وتبين أن أولئك الرجال يعانون خلافاً لجنسهم من الأنزيم المسؤول عن تنظيم مستوى السيروتونين الذي تفرزه المراسلات العصبية عاجزاً عن العمل، وإذا كانت الدقة والصرامة العلمية تفيد بعدم تعميم نتائج هذا البحث، وهو الأمر الذي ينتصر إليه "هان برونر" عالم الوراثة الهولندي، وعضو فريق البحث السالف الذكر، فإن بعض الدراسات والأبحاث الحديثة تفسر العنف بوجود مورثات جينية تسبب إنتاج هومونات معينة أو تغير الإفرازات الهرمونية في الجسم قبل الولادة أو بعدها مباشرة<sup>3</sup>.

وفي هذا الصدد تؤكد البيولوجية الأمريكية "كبت ماكبرنيت" الأستاذة بجامعة شيكاغو الأمريكية أن البداية المبكرة للسلوك العدواني واستمراره مرتبطة بوجود مستويات منخفضة من هرمون التوتري المسى "كورتيزول" في اللعاب، ووجود مستويات منخفضة من هذا الهرمون تشجع السلوك العدواني لدى الفرد في سن 7-12 سنة وأن الأطفال الذين يرتكبون سلوكيات عنيفة وعدوانية ويتورطون في جرائم أحياناً، ليس لأن هناك

1- عبد الله عبد الغني غانم، المرجع نفسه، ص 67.

2- عبد الله عبد الغني غانم، المرجع نفسه، ص 70.

3- عبد الله عبد الغني غانم، المرجع نفسه، ص 71.

خطأ في التربية، ولكن الأمر يتعلق بوجود مورثات جينية تسبب إنتاج هرمونات معينة أو تغير الإفراز الهرموني بشكل طبيعي<sup>1</sup>.

#### د- أساليب الكشف عن السلوك العدواني:

يتم التعرف على الميولات العدوانية لدى الفرد منذ مرحلة الطفولة من خلال عدة أساليب متنوعة منها: ملاحظة الطفل أثناء اللعب أو من خلال رسوماته أو القصص التي يقصها الطفل استجابة لسلسلة من الصور التي تعرض عليه، وهي أشكال وأساليب تمكن الطفل من إسقاط انفعالاته وحالته العقلية والنفسية<sup>2</sup> وتعتبر هذه الفترة جد مؤثرة في حياة الفرد مستقبلا وتأثر سلوكه بمشاعر العنف، وتتكشف هذه الميولات العدوانية لدى المراهق فيما بعد، إما عن طريق ملاحظتهم أثناء ممارسة نشاط حر كاللعب في إطار نشاط رياضي، أو من خلال رسومات أو كتابات على الأبواب والجدران تعبر عن درجة العدوانية التي تكتنف نفسيته، ويتم أيضا تصريف هذه العدوانية في تكسير وتدمير ممتلكات الآخرين، وفي الصدد نفسه تستعمل عدة مقاييس علمية للكشف عن السلوك العدواني، كمقياس فيليب كارتروكين روسل ومقياس كراكوفي، وهي في أغلبها عبارة عن مجموعة من السلوكيات المعتادة لدى كل فرد، حيث يقوم بتحديد مدى درجة انطباقها مع شخصيته، ويتم بناء هذه المقاييس اعتمادا على أسس نظرية وعلمية ويعتبر المجال الرياضي أفضل المجالات للتعبير عن الانفعالات والتنقيص عنها.

#### خلاصة:

تعتبر المراهقة مرحلة حاسمة تمكن الفرد من الانتقال من الطفولة إلى النضج عبر مجموعة من التغيرات الفيزيولوجية والنفسية والجسمية والتي يكون لها وقع مباشر على توافق المراهق مع ذاته أولا ومع مجتمعه ثانيا، مرحلة تتميز بعدم توازن الفرد أمام إكراهات محيطه الخارجي ومدى توافقها مع متطلباته الذاتية، يعيش معها حيرة ويكون فيها محتاجا لمرافقة و توجيه من جميع المؤسسات التي يتعامل ويتفاعل معها وذلك لأخذه الى بر الأمان، لأن توازنه و توافقه شخصيا واجتماعيا خلال هذه الفترة يشكل الحجر الأساس في تحديد مصيره مستقبلا، وهذه المرحلة من أكثر مراحل النمو التي تشكل خطرا وتأثيرا على حياة الفرد والتي يمكن أن تقوده إلى الانحراف إذا لم تتم مرافقته، مرافقة دقيقة تعترف بحاجياته وتهذبها بالشكل الذي يصل به إلى مرحلة النضج ممتلكا لشخصية متوازنة غير تلك التي تكون مبنية على مجموعة من الانفعالات المولدة للسلوكات العدوانية.

1- أحمد معد، العنف لدى الإنسان، تقرير لبحث نيل دكتوراه، كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001 ص 20.

2- نهي محسن ضاحي، دراسة سابقة ص 78.

واتضح لنا من خلال هذه الدراسة أن العنف والسلوك العدواني عامة هو سلوك مكتسب أثناء حياة الفرد بفعل العوامل البيئية والاجتماعية والتعليمية. وعلى الباحثين والمربين أن يقوموا بتقص الخبرة الحياتية السابقة للفرد وما تشمله من تركيبة حياته الوراثية والخلقية والأسرية والاجتماعية والتعليمية والتي تختلف من فرد لآخر حسب ظروف وثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، ومعالجتها بالطرق التربوية السليمة مثل البرامج الحركية والتربية على القيم. وسنمر خلال الجزء الثاني من هذا البحث إلى الدراسة الميدانية وذلك من أجل استبيان دور هذه التجارب والبرامج الحركية من خلال مادة التربية البدنية في التخفيف من السلوكات العنيفة لدى تلاميذ المرحلة الثانوية التأهيلية.

### قائمة المراجع:

1. أوزي أحمد، المراهق والعلاقات المدرسية، الشركة المغربية للطباعة والنشر، الرباط، 1993.
2. التوجهات التربوية لمادة التربية البدنية، مديرية المناهج، الرباط، نونبر 2007.
3. حجازي مصطفى، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، ط 9، الدار البيضاء، 2005.
4. حدية مصطفى، قضايا في علم النفس الاجتماعي، منشورات المجلة المغربية لعلم النفس، 2013.
5. الديدي عبد الغني، التحليل النفسي للمراهقة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995.
6. عمارة محمد علي، برامج علاجية لخفض مستوى السلوك العدواني لدى المراهقين، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2008.
7. غانم عبد الله عبد الغني، جرائم العنف وسبل المواجهة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الطبعة الأولى، الرياض، 2004.
8. فرويد سيغموند، أفكار لأزمة الحرب والموت. ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 2، 1981.
9. قطب محمد علي، محمد عبد الجواد وفاء، عدوان الأطفال، مكتبة العبيكان، ط 2، الرياض، 2000.
10. المجلة الأكاديمية للأساتذة التربية البدنية، أكاديمية نانت، عدد 6، 1992/1991.
11. محمد سليمان سناء، مشكلة العنف والعدوان لدى الأطفال والشباب بين الخير والشر... الصواب والخطأ، عالم الكتب، ط 1، القاهرة، 2008.
12. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004.
13. معد أحمد، العنف لدى الإنسان، تقرير لبحث نيل دكتوراه، كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط.
14. الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وزارة التربية الوطنية، الرباط، أكتوبر 1999.

1. EricDebarbieux, **la violence dans la classe**, ESF éditeur, paris,1990.
2. M. Postic,**la relation éducative**, paris PuF,1979.
3. Raphael Leca, Michel Billard : **L'enseignement des activités physiques sportives et artistiques**, ellipses édition, paris, 2005.
4. <http://educapsy.com/blog/valeur-419.02/12/2019.16h16min>.
5. <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=304037&r=0.11/10/2019.10h29min>.



## قواعد التّعامل مع الأوبئة في ضوء السُّنة النَّبويّة

## Rules for dealing with epidemics in the light of the Sunnah

د. منصور محمد أحمد يوسف/جامعة المدينة العالمية، ماليزيا

Dr. Mansour Mohamed Ahmed Yousef/Al-Madinah International University/Malaysia

د. أحمد عبد الرحمن عبد العزيز الشيحة/جامعة عمان العربية، الأردن

Dr. Ahmed Abdel-Rahman Abdel-Aziz Al-Shiha /Amman Arab University, Jordan

**Abstract:**

This research attempts to show an aspect of the greatness of the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, which is his dealings with epidemics according to the rules he established, and he took precautions by which he preceded the contemporary world.

This research combined the inductive approach and the analytical approach, by extrapolating the noble prophetic hadiths that are relevant to the subject of the research, and analyzing them to extract the prophetic rules for dealing with epidemics.

**key words:** Rules, epidemics, the Sunnah of the Prophet.

## ملخص:

يحاول هذا البحث أن يُظهر جانبًا من عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو تعامله مع الأوبئة بما أرساه من قواعد، واتخذه من احتياطات سبق بها العالم المعاصر، فيُظهر بعضًا من القواعد الإجرائية، وبعضًا من القواعد الاعتقادية التي استحدثتها السُّنة النبوية في تعاملها مع الأوبئة.

وجمع هذا البحث بين المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، باستقراء الأحاديث النبوية الشريفة التي لها صلة بموضوع البحث، وتحليلها لاستخراج القواعد النبوية للتعامل مع الأوبئة.

الكلمات المفتاحية: قواعد- الأوبئة- السُّنة النبوية.

## مقدمة:

يجد الناظر في السُّنة النبوية المشرفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وضع حدًا للأمراض الوبائية، وقلل من انتشارها، وعند وقوع الأوبئة فقد وضع العديد من الاحتياطات، وأرسى مجموعة من القواعد. ويُعتبر الحجر الصحي من أهم القواعد التي تعامل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم للحد من انتشار الأوبئة، وقد سبق بإقراره هذا الإجراء العالم المعاصر؛ حيث منع الناس من الدُّخول إلى البلدة المصابة بالوباء، ومنع أهل تلك البلدة من الخروج منها، وجعل الفرار من الوباء كالفرار من الرَّحف الذي هو من كبائر الذنوب، وجعل للصَّابر فيه أجر الشَّهيد.

كما كان من التَّوجيهات التي أرشد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم العزل الصحي للشخص المصاب بمرض مُعدي؛ فيُعزل ذلك المصاب عن الأصحاء، ولا يختلط بهم حتى لا تنتقل العدوى لغيره.

لذا فقد توجهت النية للكتابة عن: «قواعد التَّعامل مع الأوبئة في ضوء السُّنة النبوية».

أهمية البحث: يحاول هذا البحث أن يُظهر جانبًا من عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو تعامله مع الأوبئة بما أرساه من قواعد، واتخذه من احتياطات سبق بها العالم المعاصر.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

1- إظهار بعض القواعد الإجرائية التي استحدثتها السُّنة النبوية.

2- إظهار بعض القواعد الإيمانية التي استحدثتها السُّنة النبوية.

الدراسات السَّابِقة: من الكتب التي تم الاطلاع عليها

1- كتاب الطَّبِّ الوقائي في الإسلام في تعاليم الإسلام الطَّيِّبة في ضوء العلم الحديث للدكتور/ أحمد شوقي الفنجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، الطبعة الثالثة، 1991م، في 336 صفحة.

حاول المؤلف في هذا الكتاب أن يجمع كثيراً من المعلومات عن الطَّبِّ الوقائي في الإسلام، واستخلاص ما في الإسلام من تعاليم طبية، كما يركز الكتاب على أنَّ الإسلام جاء بتعاليم عن آداب مهنة الطَّبِّ، وتنظيمها، وعلاقة الأطباء بالمرضى وعلاقتهم ببعضهم.

2- كتاب أحكام التَّدَاوي والدَّوَاء في الفقه الإسلامي لكمال الدين جمعة بكرو، قدَّم له وقرَّظَه أ د/ أحمد الحجِّي الكُردي خبير في الموسوعة الفقهية الكويتية، وعضو هيئة الفتوى في دولة الكويت، طبع دار الضَّيَاء للنَّشر والتَّوزيع بالكويت، الطبعة الأولى، 2013م في مائة وواحد وثمانين صفحة.

شرح الكتاب الأحكام الفقهية للدَّوَاء، وعرَّف بالدَّوَاء المباح النَّافع، وبَيَّن أهميته لجسم الإنسان، وبَيَّن حكم التَّدَاوي شرعاً، وحكم التَّدَاوي بالمحرمات.

الذي يتميز به هذا البحث عن الكتابين السَّابِقين أنَّه يركِّز على استنباط القواعد التي تعامل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأوبئة من خلال الأحاديث النَّبوية الشَّريفة.

منهج البحث: يجمع هذا البحث بين المنهج الاستقرائي، و المنهج التَّحليلي، باستقراء الأحاديث النَّبوية الشَّريفة التي لها صلة بموضوع البحث، وتحليلها لاستخراج القواعد النَّبوية للتعامل مع الأوبئة.

إجراءات البحث:

1- الحرص على نقل أقوال العلماء من مصادرها الرئيسة.

2- ترجمة لبعض الأعلام غير المشاهير، مع ضبط أسمائهم.

3- عند توثيق النُّقول في الحاشية تمت كتابة بيانات المصدر كاملة؛ من اسم المحقق، ودار النَّشر، وبلد الطباعة، ورقم الطَّبعة، وتاريخ النَّشر - أو ما كان مُدَوَّنًا منها- في أول ورود للمصدر.

4- إذا كان النَّقل بنصِّه من المصدر يتم وضعه بين قوسين هكذا «...»، وإذا تمت الاستفادة من المصدر؛ فإنه يكتب في الحاشية. يُنظر: كتاب كذا.

5- عند تخرج الحديث تم الالتزام بذكر أمور أربعة عندما يكون الكتاب مُرتَّبًا ترتيبًا فقهيًا: الكتاب، والباب، والجزء والصفحة، ورقم الحديث.

## المبحث الأول: القواعد الإجرائية

في هذا المبحث نتحدث عن مجموعة من القواعد الإجرائية، هي: القاعدة الأولى: الحثُّ على التَّدَاوي والعلاج. القاعدة الثانية: تجنب الإصابة بالعدوى بالحجر الصحي. القاعدة الثالثة: تجنب نقل العدوى بالعزل الصحي.

## القاعدة الأولى: الحثُّ على التَّدَاوي والعلاج:

التَّدَاوي في اللغة مصدر: تداوى المريض تداوياً، أي: تناول الدواء، وأما داوى فهو مُتَعَدٍ، يقال: داوى الطبيب المريض مداواةً ودواءً، أي: عالجه<sup>(1)</sup>.

وأما العلاج فهو مصدر: عالج الطبيب المريض يعالج مُعالجَةً وعلاجاً، أي: داواه<sup>(2)</sup>.

وفي ضوء ما تقدّم: فالتَّدَاوي: من جانب المريض، ويقصد به: تناوله الدواء؛ حتى يبرأ من مرضه بإذن الله تعالى.

وأما العلاج والمداواة: فمن جانب الطبيب، ومعناها: قيام الطبيب بإعطاء الدواء للمريض؛ ليصل به إلى الشفاء بإذن الله تعالى.

وقد حثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على التَّدَاوي بأقواله: وذلك في أحاديث كثيرة، ولا أدلَّ على ذلك من وَضَع المصنفين في السُّنَّة النبوية المشرفة أحاديثه تحت عنوان: كتاب الطِّب، ومنها:

حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لكلِّ داءٍ دواءٌ، فإذا أصيب دواءٌ الداءِ برأ بإذن الله عز وجل»<sup>(3)</sup>.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب 14/281 دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة - 1414هـ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط 1/306، دار الدعوة بالقاهرة، والفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير 1/205 المكتبة العلمية- بيروت. (دوى).

(2) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس 6/108 مجموعة من المحققين، دار الهداية، والمعجم الوسيط 2/620. (علج).

(3) مسلم، الصحيح 4/1729 ح (2204) كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(4) البخاري، الصحيح 7/122 ح (5678) كتاب الطِّب، باب ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، 1422هـ.

وحديث أسامة بن شريك، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه عنده كأنما على رؤوسهم الطير، قال: فسَلَّمْتُ عليه، وقعدت، قال: فجاءت الأعراب، فسألوه فقالوا: يا رسول الله، نتداوى؟ قال: «نعم، تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم»<sup>(1)</sup>.

وحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم على التداوي بفعله، ويدلُّ على ذلك: حديث ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «اِخْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُخْرِمٌ»<sup>(2)</sup>.

كما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على التداوي، ويدلُّ على ذلك: حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بن كعب طبيباً، فقطع منه عرقاً، ثم كواه عليه»<sup>(3)</sup>.

وحديث هلال بن يساف<sup>(4)</sup> قال: جرح رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ادعوا له الطبيب، فقالوا: يا رسول الله، هل يغني عنه الطبيب؟ قال: «نعم، إن الله تبارك وتعالى لم يُنزل داءً، إلا أنزل معه شفاءً»<sup>(5)</sup>.

### القاعدة الثانية: تجنب الإصابة بالعدوى بالحجر الصّحي

الحجر في اللغة: المنع، من التصرف، وحجر عليه القاضي: إذا منعه من التصرف في ماله؛ لصغر أو سفه أو جنون، والحجر: «العقل» واللُّبُّ؛ لإمساكه ومنعه وإحاطته بالتميز، وبالنسبة للمكان فالحجر: المكان المحجور، أي: الممنوع من التّاس للاختصاص به، والمحجر الصّحي: هو المكان الذي يُعزّل فيه المصابون بالداء<sup>(6)</sup>.

والحجر الصّحي: هو المنع من دخول البلاد التي وقع فيها الوباء أو الخروج منها؛ لمنع انتشار العدوى بالأوبئة، ويُعتبر الحجر الصّحي من أهم القواعد التي تعامل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم للحجّ من انتشار الأوبئة،

(1) أحمد بن حنبل، المسند 394/30 ح (18453) تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2001م، وقال محققوه: «إسناده صحيح».

(2) البخاري، الصحيح 15/3 ح (1835) كتاب جزاء الصيد، باب الحجامة للمُخْرِمِ، ومسلم، الصحيح 2/862 ح (1202) كتاب الحج، باب جواز الحجامة للمحرم. واللفظ لهما.

(3) مسلم، الصحيح 4/1730 ح (2207) كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحياب التداوي.

(4) هلال بن يساف، ويقال: ابن إساف، الأشجعي، مولاها، أبو الحسن الكوفي، أدرك علي بن أبي طالب، قال يحيى بن معين: ثقة، وقال العجلي: كوفي، تابعي، ثقة. ابن حبان، الثقات 5/503 طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى، 1393هـ - 1973م، والمزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال 30/353 تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، 1400هـ - 1980م.

(5) ابن أبي شيبة، المصنف 7/359 ح (23880) كتاب الطب، باب من رخص في الدواء والطب، الدار السلفية - الهند.

(6) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس 10/530، والفيومي، المصباح المني 1/121، والمعجم الوسيط 1/157 (حجر).

وقد سبق العالم المعاصر بإقراره هذا الإجراء؛ حيث منع النَّاس من الدُّخول إلى البلدة المصابة بالبُوباء، ومنع أهل تلك البلدة من الخروج منها.

وَيُعَدُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أوَّل مَنْ طَبَّقَ نظام الحجر الصِّحِّي، ففي حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطَّاعُونَ رِجْزٌ، أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»<sup>(1)</sup>.

فحذَّر أهل البلد الذي وقع فيه البُوباء من الخروج منه، وحذَّر مَنْ هم خارجه من الدُّخول إليه، حتى لا تنتشر عدوى الأمراض البوبائية الخطيرة.

كما رَغَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصَّبْر على المُكْت في البلد التي وقع بها الطَّاعُونَ، وحذَّر من الفرار منها، ففي حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطَّاعُونَ، فَأَخْبَرَنِي «أَنَّ عَذَابَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونَ، فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجْرِ شَهِيدٍ»<sup>(2)</sup>.

ولما كان الإنسان بطبعه يميل إلى النَّجاة بنفسه دون أن يفكر فيما قد يسببه للآخرين من عدوى، فقد غَلَّظ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقوبة تغليظاً شديداً لمن يخرج من البلد التي وقع بها الطَّاعُونَ؛ لكيلا ينقل إلى العدوى لغيره؛ حيث اعتبر مَنْ يفرُّ من تلك البلد كالفار من الرَّحْف، ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْفَارُّ مِنَ الطَّاعُونَ، كَالْفَارِّ مِنَ الرَّحْفِ، وَالصَّابِرُ فِيهِ، كَالصَّابِرِ فِي الرَّحْفِ»<sup>(3)</sup>.

### القاعدة الثالثة: تجنب نقل العدوى بالعزل الصِّحِّي

من التَّوجيهاً التي أرشد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم العزل الصِّحِّي للشخص المصاب بمرض مُعْدٍ؛ فيعزل ذلك المصاب عن الأصحاء، ولا يختلط بهم حتى لا تنتقل العدوى لغيره، كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُوردُوا المُمْرِضَ عَلَى المَصِحِّ»<sup>(4)</sup>.

(1) البخاري، الصحيح 175/4 ح (3473) كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الْغَارِ، ومسلم، الصحيح 26/7 ح (5825) كِتَابُ الطَّبِّ، بَابُ الطَّاعُونَ، واللفظ لهما.

(2) البخاري، الصحيح 175/4 ح (3474) كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الْغَارِ.

(3) أحمد بن حنبل، المسند 365/22 ح (14478)، وقال محققوه: «حسن لغيره».

(4) البخاري، الصحيح 139/7 ح (5774) كِتَابُ الطَّبِّ، بَابُ لَا عَدْوَى، ومسلم، الصحيح 1744/4 ح (2221) كِتَابُ الطَّبِّ، بَابُ الطَّاعُونَ، واللفظ لهما.

فلا يدخل المريضُ على الأصحاء، ولا يجوز للمريض بمرض مُعدٍ أن يتنقل بين الأصحاء ويخالطهم؛ حتى لا يُبتلوا بمرضه، ولما في ذلك من خطر نقل العدوى وانتشارها<sup>(1)</sup>.

ولم يكتفِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنع المصاب بمرض مُعدٍ من الاختلاط بالأصحاء؛ بل أمر الأصحاء بعدم الاختلاط بالمصاب، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى بتطبيق ذلك، ففي حديث عمرو بن الشريد<sup>(2)</sup>، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْدُومٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ»<sup>(3)</sup>. وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المجزوم بذلك احتياطاً وحفظاً للنفوس من العدوى.

وقد كان هذا الإجراء سبباً مُتَّبَعاً عند الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فعن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه قال: «أقبلت إلى الزبير يوماً وأنا غلام، وعنده رجلٌ أبرص، فأردت أن أمسَّ الأبرص، فأشار إليَّ الزبير فأمرني أن أنصرف كراهية أن أمسَّه»<sup>(4)</sup>.

كما وجَّه الصحابة الكرام رضي الله عنهم المصاب بمرض مُعدٍ إلى اعتزال الناس؛ فقد روى الإمام مالك بسنده، أن عمر بن الخطاب مرَّ بامرأة مَجْدُومَةٍ وهي تطوف بالبيت، فقال لها: «يا أمة الله، لا تؤذي النَّاسَ، لو جلست في بيتك». فجلست، فمرَّ بها رجلٌ بعد ذلك. فقال لها: إِنَّ الذي كان قد نهاك قد مات، فخرجي. فقالت: «ما كنت لأطيعه حيًّا وأعصيه ميتاً»<sup>(5)</sup>.

(1) ابن بطال، شرح صحيح البخاري 450/9 تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، 1423هـ- 2003م، وابن الملحق، التوضيح لشرح الجامع الصحيح 557/27 دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق- سوريا، الطبعة الأولى، 1429هـ- 2008م، وابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري 162/10 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، دار المعرفة- بيروت، 1379هـ.

(2) عمرو بن الشريد بن سويد الثقفي أبو الوليد الطائفي. قال العجلي: حجازي تابعي ثقة. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب 43/8 دار الفكر، الطبعة الأولى، 1404هـ، وابن حبان، الثقات 180/5.

(3) البخاري، الصحيح 37/7 ح (5880) كِتَابُ الطَّبِّ، بَابُ اجْتِنَابِ الْمُجْدُومِ.

(4) البيهقي، شعب الإيمان 491/2 ح (1296) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي- الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، 1423هـ- 2003م.

(5) مالك، الموطأ 424/1 ح (250) كتاب الحج، باب جامع الحج، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1406هـ- 1985م.

«وفي هذا الحديث من الفقه: الحكم بأن يُحال بين المجذومين وبين اختلاطهم بالناس؛ لما في ذلك من الأذى لهم، وأذى المؤمن والجار لا يحلُّ، وإذا كان أكل الثُّوم يُؤمر باجتناب المسجد، وكان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أُخْرِجَ إلى البقيع، فما ظنُّك بالجُذام، وهو عند بعض النَّاس يُعدي، وعند جميعهم يُؤذي»<sup>(1)</sup>.

### المبحث الثاني: القواعد الاعتقادية

في هذا المبحث نتحدث عن مجموعة من القواعد الاعتقادية، هي: القاعدة الأولى: التَّدَاوي لا يُنافي التَّوَكُّل على الله تعالى. القاعدة الثانية: الجمع بين التَّدَاوي والتَّضَرُّع إلى الله تعالى برفع الوباء. القاعدة الثالثة: الأخذ بالاحتياطات اللازمة للوقاية من المرض لا يمنع من وقوع ما قدره الله.

### القاعدة الأولى: التَّدَاوي لا يُنافي التَّوَكُّل على الله تعالى

إنَّ التَّدَاوي بتعاطي الأدوية وتناول الأدوية، لا يُضاد التَّوَكُّل على الله تعالى؛ لأنَّ التَّدَاوي من أعمال الجوارح، والتَّوَكُّل على الله من أعمال القلوب، وقد أمرنا الله بكلمهما، كما أنَّ في التَّدَاوي أخذًا بالأسباب التي أوجدها الله تعالى، وربط بها مسبباتها من الشِّفاء والمرض، وأمَّا التَّوَكُّل على الله فهو عملٌ قلبيٌّ في الاعتماد على مُسَبِّب الأسباب في نجاحها والثِّقَّة به وحده، والرضى بقضائه وقدره.

كما أنَّ الأخذ بالأسباب بالتَّدَاوي من جهةٍ، والتَّوَكُّل على الله تعالى من جهةٍ أخرى، يبعث في نفس المريض طمأنينةً، ويفتح لها باب الأمل الواسع في الشِّفاء، ويبعد عنها اليأس والقنوط، ويزيد من مقاومتها للمرض، وهذا من دعائم نجاح العلاج كما أثبتته الطب الحديث.

ويشهد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ الأخذ بالأسباب بالتَّدَاوي لا يتنافى مع الإيمان بالقضاء والقدر، وهذا ما ورد في حديث أبي خزيمة<sup>(2)</sup>، عن أبيه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا

(1) ابن عبد البر، الاستذكار 407/4 تحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م.  
(2) أبو خزيمة: اسمه رفاعة بن عرابة. ويقال: ابن عرادة العذري من بني عذرة بن سعد. ويقال فيه الجني، وهو بالجني أشهر وجهينة أخو عذرة، كان يسكن الجباب، وهي أرض عذرة، له صحبة، عداة في أهل الحجاز. روى عنه عطاء بن يسار. وقد ذكر بعضهم في الصحابة آخر أبا خزيمة بحديث أخطأ فيه رواية عن ابن شهاب. والصَّواب ما رواه يونس بن يزيد، وابن عيينة، وعبد الرحمن ابن إسحاق. عن الزهري، عن أبي خزيمة، أحد بني الحارث بن سعد، عن أبيه أنه قال: يا رسول الله، أرأيت رقي نسترقمها، وتقي نتقمها، وأدوية نتداوى بها، أترد من قدر الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي من قدر الله. وقال غيرهم فيه، عن الزهري، عن أبي خزيمة بن يعمر، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم. وأبو خزيمة هذا من التابعين لا من الصحابة، على أن حديثه هذا مختلف فيه جدا. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب 1639/4 تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م.

رسول الله، أرايت رقي نَسْتَرْقِيها ودواءً نَتَدَاوِي به، وتُقَاتة نَتَقِيها، هل تردُّ من قدر الله شيئاً؟ قال: «هي من قدر الله»<sup>(1)</sup>.

ففي هذا الحديث إثبات الأسباب، وأن ذلك لا ينافي التَّوَكُّل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله وبتقديره، وأنها لا تنجح بذواتها، بل بما قدره الله فيها، وأن الدواء قد ينقلب داءً إذا قَدَّرَ اللهُ ذلك، وإليه الإشارة في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لكل داءٍ دواءٌ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل»<sup>(2)</sup>.

حيث قال: «بإذن الله»، فمدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته. والتَّداوي لا يُنافي التَّوَكُّل، كما لا يُنافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشُّرب، وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بالعافية، ودفع المضار وغير ذلك<sup>(3)</sup>.

### القاعدة الثانية: الجمع بين التَّداوي والتَّضَرُّع إلى الله تعالى برفع الوباء

إذا كان التَّداوي بالذَّهاب للطَّبيب، وتناول الدَّواء من الأخذ بالأسباب المادية، وهما من وسائل الشِّفاء، إلا أنَّ الشَّافي على كلِّ حالٍ هو الله سبحانه وتعالى؛ ولذلك فإننا نتداوى ونذهب للطبيب، وتناول الدَّواء، ونُقِرُّن ذلك كلِّه بالتَّضَرُّع إلى الله تعالى برفع المرض، وهذا ما نراه في قصة سيدنا أيوب عليه السَّلام في مرضه حيث لم يَقْتَر قلبه ولسانه وجوارحه عن الدُّعاء قال تعالى: {وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42)}. [سورة ص: 41-42].

وقال تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ (84)}. [سورة الأنبياء: 83-84].

قال ابن قيم الجوزية: «جمع في هذا الدُّعاء بين حَقِيقَةِ التَّوَجُّيدِ وإِظْهَارِ الْفَقْرِ والفاقة إلى ربه وَوُجُودِ طَعْمِ الْمُحِبَّةِ فِي الْمَتَلَقِّ لَهُ وَالْإِقْرَارِ لَهُ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ وَأَنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ والتوسل إليه بصفاته سُبْحَانَهُ وَشِدَّةَ حَاجَتِهِ

(1) الترمذي، السنن 399/4 ح (2065) كتاب الطَّب، باب ما جاء في الرقي والأدوية، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة الثانية، 1395هـ-1975م، وقال: «هذا حديث حسن». وروي من حديث كعب بن مالك عن ابن حبان كما في موارد الظمان إلى زوائد للهيثي 377/4 ح (1396) تحقيق حسين سليم أسد الداراني، وعبد علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، 1411هـ-1412هـ-1990م-1992م، وقال محققه: «إسناده حسن».

(2) تقدم تخريجه في القاعدة الأولى: الحثُّ على التَّداوي والعلاج.

(3) ينظر: الشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار 75/9 إدارة الطباعة المنيرية، ومع الكتاب تعليقات يسيرة لمحمد منير الدمشقي، وينظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد 14/4 مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، 1415هـ-1994م.

وَهُوَ فَقْرُهُ وَمَتَى وَجَدَ الْمُبْتَلَى هَذَا كَشَفَ عَنْهُ بَلْوَاهُ وَقَدْ جَرَّبَ أَنَّهُ مِنْ قَالَهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ وَلَا سِيَّمَا مَعَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ كَشَفَ اللَّهُ ضَرَّهُ»<sup>(1)</sup>.

### القاعدة الثالثة: الأخذ بالاحتياطات الوقائية من المرض لا يمنع من وقوع ما قدَّر الله تعالى

ينبغي لمن نجا من المرض أن لا يظنُّ أن نجاته كان بالأخذ بالاحتياطات الوقائية من المرض، أو أن نجاته كانت بسبب بُعده عن موطن الوباء، وكلُّ ذلك واقع بقضاء الله وقدره، فلا يُلام مَنْ بقي في الأرض التي بها الوباء فلم يخرج منها وأصيب، ولا يُمدح من فرَّ من الأرض التي بها البلاء ونجا؛ فذلك كلُّ يجري بتقدير الله وعلمه، وحكمته، ومشينته.

لذلك جاء في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم: «فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»<sup>(2)</sup>.

أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم ينه عن ذلك أحد حذاراً عليه من أن يصيبه غير ما كُتِبَ عليه، أو أن يهلك قبل الأجل الذي لا يستأخر عنه ولا يستقدم، ولكن حذار الفتنة على الحيِّ من أن يظنَّ إنَّما كان هلاكه من أجل قدومه عليه، وأن مَنْ فرَّ عنه فنجا من الموت أن نجاته كانت من أجل خروجه عنه. فكره رسول الله ذلك»<sup>(3)</sup>.

ويؤيد هذا حديث أبي موسى الأشعري قال: إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ قَدْ وَقَعَ فِي أَهْلِي، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَنَزَّهَ فَلْيَتَنَزَّهْ، وَاحْذَرُوا اثْنَتَيْنِ، أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: خَرَجَ خَارِجٌ فَسَلِمَ، وَجَلَسَ جَالِسٌ فَأَصِيبَ، لَوْ كُنْتُ خَرَجْتُ لَسَلِمْتُ كَمَا سَلِمَ آلُ فُلَانٍ أَوْ يَقُولَ قَائِلٌ: لَوْ كُنْتُ جَلَسْتُ لَأَصِيبْتُ كَمَا أَصِيبَ آلُ فُلَانٍ»<sup>(4)</sup>.

فلا يقدِّم رجلٌ على الطَّاعُونَ فيصيبه بتقدير الله تعالى أن يصيبه، فيقول: لولا أن قد قَدِمْتُ هذه الأرض لما أصابني هذا الوباء، وكذلك لو أقام في الموضع الذي خَرَجَ منه لأصابه، فأمر أن لا يقدِّمها خوفاً من هذا القول، وكذلك أمر أن لا يخرج من الأرض التي قد نَزَلَ بها؛ لئلا يسلم، فيقول: لو أقمت في تلك الأرض لأصابني ما أصاب

(1) ابن قيم الجوزية، الفوائد ص 201 دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية، 1393 هـ- 1973 م.

(2) تقدم تخريجه في القاعدة الثَّانِيَّة: تجنب الإصابة بالعدوى بالحَجْرِ الصَّحِي.

(3) ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري 425/9.

(4) الطحاوي، شرح معاني الآثار 305/4 ح (7038) حققه وقدم له محمد زهري النجار، ومحمد سيد جاد الحق من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورَقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه د يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، عالم الكتب، الطبعة الأولى- 1414 هـ، 1994 م.

أهلها، ولعله لو كان أقام بها ما أصابه من ذلك شيء، فأمر بترك القدوم على الطّاعون للمعنى الذي وصفنا، وبترك الخروج عنه للمعنى الذي ذكرنا<sup>(1)</sup>.

خاتمة:

بعد هذه الجولة الممتعة مع موضوع قواعد التّعامل مع الأوبئة من خلال السّنة النبويّة، يطيب لنا أن نسجل أهمّ النّتائج:

- (1) حثُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على التّداوي بأقواله وأفعاله.
- (2) يُعدُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أوّل مَنْ طبّق نظام الحجر الصّحّي، وقد سبق بإقراره هذا الإجراء العالم المعاصر.
- (3) أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العزل الصّحّي للشخص المصاب بمرض مُعدّي؛ فيُعزل ذلك المصاب عن الأصحاء، ولا يختلط بهم حتى لا تنتقل العدوى لغيره.
- (4) التّداوي بتعاطي الأدوية وتناول الأدوية، لا يُضاد التّوكل على الله تعالى؛ لأنّ التّداوي من أعمال الجوارح، والتّوكل على الله من أعمال القلوب.
- (5) التّداوي بالذهاب للطّبيب، وتناول الدّواء من الأخذ بالأسباب المادية، وهما من وسائل الشّفاء، إلا أنّ الشّافي على كل حال هو الله سبحانه وتعالى.
- (6) لا يظنُّ مَنْ نجا من المرض أن نجاته كان بالأخذ بالاحتياطات الوقائية، أو أن نجاته كانت بسبب بعده عن موطن الوباء، فكلُّ ذلك واقع بقضاء الله وقدره.

أهم التّوصيات:

- (1) أوصي بعض الباحثين بدراسة الأحاديث التي تتعلق بالطّب الوقائي في السّنة النبوية، واستخراج القواعد أصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلافي الوقوع في الأمراض.

(1) ينظر: العيني، نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار 75/14 تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م، بتصريف يسير.

(2) أوصي بعض الباحثين بمقارنة الإجراءات التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم للتعامل مع الأمراض قبل وقوعها، وبعد انتشارها؛ لبيان سبقه صلى الله عليه وسلم للعالم المعاصر، وإبراز هذا الجانب المعجز.

#### قائمة المصادر والمراجع :

- (1) القرآن الكريم.
- (2) ابن أبي شيبة، المصنف، الدار السلفية- الهند.
- (3) ابن الملقن، التّوضيح لشرح الجامع الصحيح، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق- سوريا، الطبعة الأولى، - 2008م.
- (4) ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد- السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، 2003م.
- (5) ابن حبان، الثّقات، طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى، 1973م.
- (6) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1404هـ.
- (7) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رَقَم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، دار المعرفة- بيروت، 1379هـ.
- (8) ابن عبد البر، الاستذكار، تحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 2000م.
- (9) ابن قيم الجوزية، الفوائد، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية، 1973م.
- (10) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، 1994م.
- (11) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة- 1414هـ.
- (12) أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2001م.
- (13) البخاري، الصحيح، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- (14) البيهقي، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي- الهند،

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، 2003م.

(15) الترمذي، السنن، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة الثانية، 1975م.

(16) الرّبدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(17) الشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأختار شرح منتقى الأخبار، إدارة الطباعة المنيرية، ومع الكتاب تعليقات يسيرة لمحمد منير الدمشقي.

(18) الطحاوي، شرح معاني الآثار، حققه وقدم له محمد زهري النجار، ومحمد سيد جاد الحق من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه د يوسف عبد الرحمن المرعشلي، الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1994م.

(19) العيني، نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة الأولى، 2008م.

(20) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية- بيروت.

(21) مالك، الموطأ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1985م.

(22) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة بالقاهرة.

(23) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى، 1980م.

(24) مسلم، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(25) الهيثمي، موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، وعبداه علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، 1992م.



تدبير أخطار الحركات الكتلية بفرنسا: نحو صياغة خطة وطنية خاصة بتدبير الأخطار الطبيعية بالمغرب  
Management of the risks of mass movements in France: towards the formulation of a  
national plan for the management of natural hazards in Morocco

ظريف جواد/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية – مراكش-، المغرب

Research Darif jawad/ Faculty of Arts and Human Sciences – Marrakech- Morocco

**Abstract:**

France witnessed, during the beginning of the seventies of the 20th century AD, devastating mass movements, in which many people lost their lives, so the state moved to formulate a national plan based on developing designs, maps and documents to determine the degrees of danger in each region, and sensitizing the population to the danger of mass movements, and the procedures and measures that must be taken before and during it. After the occurrence of a natural hazard, it also worked to incorporate maps of this natural hazard into the construction documents, thus preventing construction in very dangerous areas, and recommending appropriate techniques to protect buildings from movement, and citizens were urged to engage in insurance for natural hazards.

Keywords: France, management, risk, mass movements.

## ملخص:

شهدت فرنسا خلال بداية السبعينيات من القرن 20م حركات كتلية مدمرة ذهب ضحيتها العديد من الأشخاص، فاتجهت الدولة إلى صياغة خطة وطنية تركز على وضع تصاميم، وخرائط ووثائق لتحديد درجات الخطر بكل منطقة، وتحسيس السكان بخطورة الحركات الكتلية، وبالإجراءات والتدابير الواجب اتخاذها قبل وخلال وبعد حدوث الخطر الطبيعي، كما عملت على إدماج خرائط هذا الخطر الطبيعي في وثائق التعمير، فمنعت بذلك البناء في المناطق الخطيرة جدا، وأوصت باتخاذ التقنيات الملائمة لحماية البنايات من الحركة، كما تم حث المواطنين على الانخراط في التأمين عن الأخطار الطبيعية.

الكلمات المفتاحية: فرنسا، تديير، خطر، حركات كتلية.

## مقدمة:

تعتبر التجربة الفرنسية رائدة في مجال تديير الأخطار الطبيعية، حيث تتحمل الدولة الفرنسية حسب المادة 1-562 من مدونة البيئة، مسؤولية تديير الأخطار الطبيعية (فيضانات، وحرائق الغابات والسيول الجارفة والزلازل ثم العواصف والأعاصير والانزلاقات الأرضية والجريانات/التدفقات الوحلية...)، ويتكلف مكتب الأبحاث الجيولوجية والمنجمية (BRGM)، بإنتاج معظم تصاميم وخرائط الأخطار الطبيعية<sup>1</sup>، لتحسيس وتوعية السكان وتحقيق وسط عيش آمن ومستقر، عبر تحديد المناطق المهددة بحدوثها، واقتراح تقنيات للحماية والوقاية وتوجيه التعمير نحو المناطق المستقرة.

تطورت خرائطية احتمال حدوث الخطر الطبيعي المرتبط بالحركات الكتلية بفرنسا ابتداء من سنتي 1969 و1970، بعد حوادث مأساوية تسببت في عدة وفيات، حيث أدى الجريان الوحلي بهضبة داسي plateau d'Assy ووادي إزير Val d'Isère في موت أكثر من 71 شخصا، فظهرت بها خرائط وتصاميم وبرامج للوقاية من الأخطار الطبيعية عامة والحركات الكتلية خاصة، نذكر منها؛ خرائط المناطق المعرضة لأخطار حركات التربة وما تحت التربة ZERMOS، وتصاميم المناطق المعرضة للأخطار PER، ثم تصاميم الوقاية من الأخطار PPR، ثم التصميم الوطني للوقاية من الأخطار المرتبطة بانهيار التجايف الباطنية 2013-2015، وبرنامج عمل للوقاية من أخطار التجايف، وأنجزت وثائق وملفات تهدف لإخبار وتحسيس وتوعية السكان بنوع الأخطار التي تهدد منطقة

<sup>1</sup><https://eduscol.education.fr/sti/sites/eduscol.education.fr.sti/files/ressources/pedagogiques/8525/8525-les-glislements-de-terrains-modelisation-et-prevision-ensps.pdf>

سكنهم، وحثهم على الانخراط في التأمين عن الأضرار الناتجة عنها، واتخاذ مجموعة من التقنيات والوسائل الوقائية، والتي تتناسب مع درجات الخطر (ضعيفة، متوسطة ومرتفعة ومرتفعة جدا) بكل منطقة، كما يتم الاعتماد على خرائط درجات حدوث الحركات الكتلية في وثائق التعمير، لتوجيه التعمير نحو المناطق غير المهددة.

### 1- الإطار المنهجي للبحث:

#### 1-1- إشكالية البحث:

تشهد فرنسا باستمرار حدوث أخطار الحركات الكتلية، والتي تكلف خسائر بشرية ومادية واقتصادية باهظة، حيث تسبب حدوث الانزلاق الأرضي في 13 نونبر 1932 بتل بالميس بمنطقة ليون في مقتل 40 شخصا، وأدى الانزلاق الأرضي بمنطقة إزير في 9 يناير 1994، إلى تدمير 9 منازل بسبب تدفق 1.3 مليون متر<sup>3</sup> من المنقولات وبلغت قيمة الخسائر بحوالي 6 ملايين يورو، كما تشكل هذه الحركات عائقا أمام إنجاز البرامج التنموية وتوسع الرقعة الحضرية، لذلك اتجهت الدولة إلى تدبير هذا الخطر عبر تطوير تصاميم وخرائط ذات مقاييس كبيرة، لتحديد المناطق الخطيرة والأمنة من حدوث الحركات الكتلية، وجعلها في متناول المواطنين وتحسيسهم بالإجراءات الواجب اتخاذها قبل وخلال وبعد حدوث الحركات الكتلية.

#### 1-2- منهجية البحث:

تم الاعتماد على القراءة البيليوغرافية لدراسة إشكالية البحث، من خلال تفحص مجموعة من التقارير، والدراسات والمقالات والمواقع الالكترونية، التي تطرقت للتصاميم والخرائط والتقنيات المعتمدة من طرف الدولة الفرنسية لتدبير الحركات الكتلية قبل وخلال وبعد حدوثها، خصوصا وأن هذه الأدوات تعتمد على الإنسان كفاعل أساسي في إنجاز عملية التدبير، وكهدف ينبغي تأمينه والحفاظ على سلامته وممتلكاته. تم في هذا العمل تطبيق ثلاث مناهج أساسية: الأول تاريخي؛ من خلال جرد للخرائط والتصاميم التي تم تطبيقها في فرنسا بين 1970 إلى 1995 لتدبير أخطار الحركات الكتلية، والثاني وصفي/مقارن؛ من خلال وصف تعليمات الحماية للأفراد الواجب القيام بها، قبل وخلال وبعد حدوثها، إضافة إلى وصف مميزات وخصائص المناطق المحددة في خرائط وتصاميم ZERMOS و PPR، والمقارنة بينها من ناحية درجات الخطر والتدخلات والأساليب التي يمكن القيام بها لضمان استقرار الأراضي.

## 1-3- أهداف البحث:

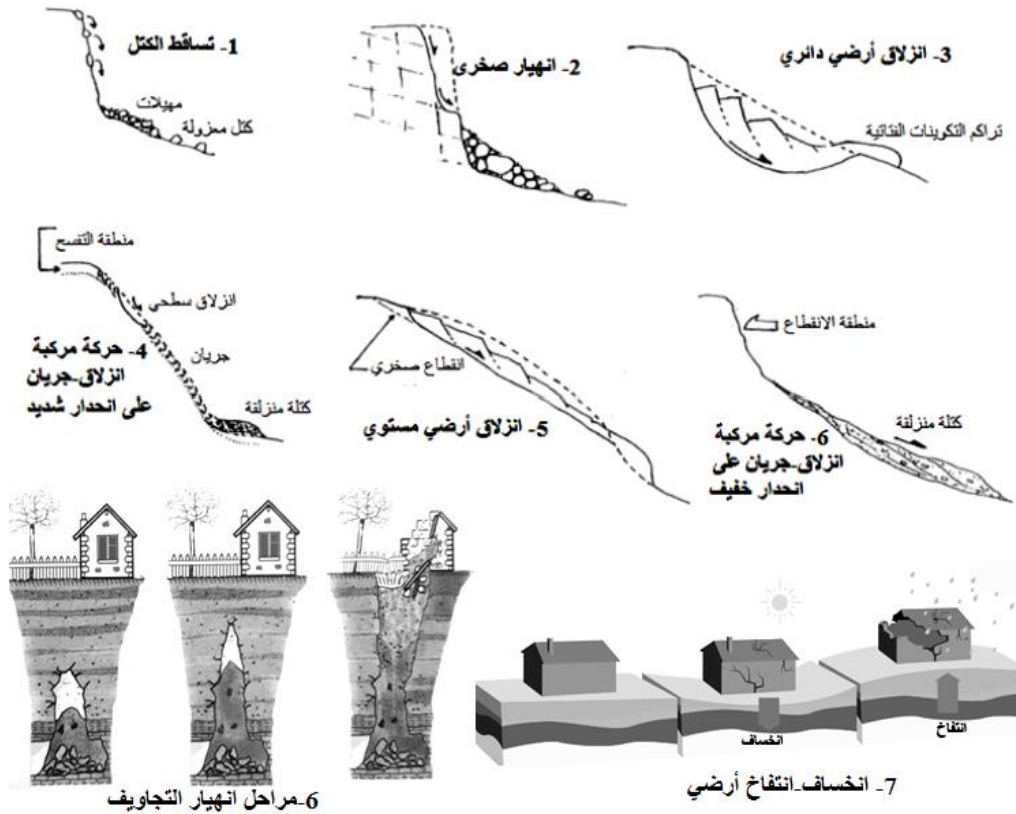
يهدف هذا البحث إلى التعرف على الخطط، والاستراتيجيات والأساليب المعتمدة من طرف الدول المتقدمة مثل فرنسا، في تدبير الأخطار الطبيعية عامة والحركات الكتلية خاصة، لأن التجارب الدولية تعتبر ركيزة أساسية يمكن للدول النامية مثل المغرب الاعتماد عليها لصياغة خطة وطنية خاصة بتدبير الأخطار الطبيعية.

## 1-4- المفاهيم الأساسية في البحث:

\***الخطر الطبيعي:** تهديد أو حدث فجائي محتمل غير مؤكد الوقوع، ينتج عن حدوثه أضرار بالرهانات، وتتمثل في حدوث خسائر في الأرواح، أو إصابات أو آثار صحية أخرى أو إلحاق الضرر بالممتلكات، أو فقدان سبل العيش والخدمات أو الاضطراب الاجتماعي والاقتصادي، أو الإضرار بالصحة البيئية، خصوصا بالمجالات الهشة غير القادرة على مواجهة ومقاومة القوة التدميرية للظاهرة، وتشتد آثار هذه الظواهر الطبيعية، عندما تهدد المنشآت البشرية ذات الكثافات السكانية المرتفعة.

\***الحركات الكتلية:** تحرك أو انتقال الصخرة الهشة أو الصلبة فوق السطح وفي باطن الأرض، أي من مكانها الأصلي إلى مكان آخر (شكل 1)، وتعرف بالنقل الكتلي أو النقل بالجاذبية، ويتكرر حدوثها بالمنحدرات الشديدة ذات الصخرة الهشة، وتصنف ضمن الأخطار الطبيعية الجيومورفولوجية، وتنقسم إلى حركات كتلية بطيئة (انسيخات وانزلاقات وانخسافات/انتفاخات أرضية) وسريعة (انهيارات وانهيارات صخرية، وانهيار التجاويف والتدفقات/الجريانات الوحلية).

شكل 1: بعض أنواع الحركات الكتلية



Source: (<https://www.francebleu.fr/infos/environnement/cavites-souterraines-des-communes-du-poitou-baties-sur-des-sous-sols-en-gruyeres-1573741806>)

(<https://www.vie-publique.fr/sites/default/files/rapport/pdf/283821.pdf>)

(<http://infoterre.brgm.fr/rapports/RR-40172-FR.pdf>)

2- تتوفر فرنسا على تصاميم وخرائط ووثائق للوقاية من الحركات الكتلية:

2-1- خرائط المناطق المعرضة لأخطار حركات التربة وما تحتها ZERMOS:

هي وثيقة لإخبار وتوجيه الفاعلين في التهيئة، وملف تقني يتم الاعتماد عليه من طرف مصالح وزارات الداخلية، والتجهيز والفلاحة والبيئة والسلطات المحلية، للتعرف على الاختيارات المتاحة في مجال أمن السكان، والتعمير والمحافظة على التربة وحماية المشاهد.

تشكل خرائط ZERMOS عبر دراسة وتحليل العوامل الطبيعية المسؤولة عن عدم استقرار الأراضي، وتمثل في؛ الطبوغرافيا (انحدار السطح ونوع التضاريس...) والجيولوجيا (الصخرة والبنية...)

والجيومورفولوجيا (دينامية المنحدرات والحركات...) والهيدروجيومورفولوجيا (جريان الماء الباطني والصرف السطحي...) والعوامل الظرفية في الماضي والحاضر (المناخ والنبات) والتدخلات البشرية (الطرق والبنىات...) <sup>1</sup> يرجع ظهور خرائط ZERMOS إلى سنة 1970م، حيث عرفت فرنسا حدوث جريان وحلي قوي جدا بمنطقة (عالية صافوا Haute-Savoie)، وتسبب في تدمير مصحة، ووفاة 40 شخصا<sup>2</sup>، فقامت جامعة كرينوبل بوضع هذه الخرائط، التي تم العمل بها إلى حدود سنة 1982م، والهدف منها هو الإشعار بالأماكن التي يمكن أن تقع فيها الحركات الكتلية، وتنقسم مجالاتها إلى ثلاثة مناطق:

- الأولى باللون الأحمر: منطقة يحتمل أن تظهر بها حركات كتلية، نظرا لتوفر جميع الأسباب المؤدية لحدوثها.

- الثانية باللون البرتقالي: ذات احتمال متوسط على حدوث الحركات الكتلية، وتشير أيضا إلى الحركات القديمة، وتتضمن أيضا الوسائل الكفيلة التي تؤدي للاستقرار.

- الثالثة بالأخضر: تحدد المناطق المستقرة.

## 2-2- قامت فرنسا بتعويض ZERMOS بتصاميم المناطق المعرضة للأخطار PER :

قامت فرنسا بتعويض خرائط ZERMOS بتصاميم المناطق المعرضة للأخطار PER، استنادا للمادة 5 من قانون 13 يوليو 1982، المتعلق بتعويض ضحايا الكوارث الطبيعية، والذي سيعمم خرائطية الأخطار الطبيعية في الممارسة الإدارية. وينبني هذا القانون على مبدئين، الأول: التضامن الوطني، والثاني: مسؤولية المتدخلين، ويركز تصميم المناطق المعرضة للأخطار الناتجة عن الظواهر الهيدرولوجية، والزلزالية والحركات الكتلية<sup>3</sup>، ويهدف إلى تحديد المناطق المهددة بحدوثها (تصميم 1)، والتدابير والتقنيات الوقائية، والترتيبات الواجب اتخاذها خلال فترات حدوث الخطر الطبيعي<sup>4</sup>.

1 Cadiot B, Delaunay J M, Humbert M, Vogt J, 1979. Inventaire et étude des risques géologiques en France au service géologique national. In: Espace géographique, tome 8, n°1, p.p 54-55.

2 Ministère de l'aménagement du territoire et de l'environnement, ministère de l'équipement, des transports et du logement 1999. Plans de prévention des risques naturels, risques des mouvements de terrain, guide méthodologique, la documentation française, paris, p 7.

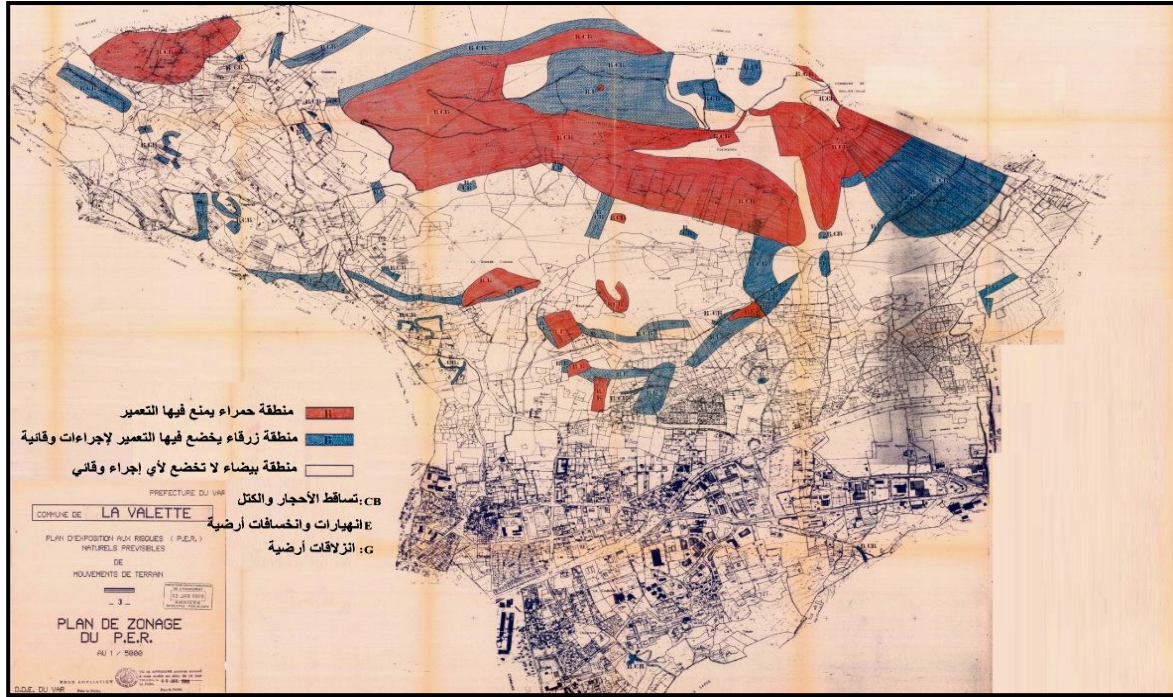
3 Observatoire Régional des Risques Naturels 2009. Cartographie de susceptibilité aux mouvements de terrain de la région Languedoc-Roussillon, rapport final, BRGM/RP-56409-FR, p 26.

4 [https://www.senat.fr/rap/1989-1990/i1989\\_1990\\_0318.pdf](https://www.senat.fr/rap/1989-1990/i1989_1990_0318.pdf)

وتتميز تصاميم PER بقدرتها على الضغط على مستعملي المجال، من خلال تحديد المناطق التي يمنع أن تشهد توسعا عمرانيا باللون الأحمر، والمناطق الخطيرة الأخرى باللون الأزرق المتدرج، وهي ذات سلم كبير 1/5000.

وفي سنة 1984 م كانت المرحلة التجريبية، حيث تم تطبيق هذا النوع من الخرائط على 169 قرية منتشرة في حوالي 15 مقاطعة، تم تحديدها سابقا من خلال الجرد الذي كان يتم في إطار خرائط ZERMOS، وارتفع عدد القرى من 399 إلى 431 قرية سنة 1986 م، وتنقسم إلى 127 قرية خصصت للحركات الكتلية و304 قرية للفيضانات<sup>1</sup>.

### تصميم 1: تصميم التنطيق للمناطق المعرضة للأخطار بجماعة Valette



[http://www.var.gouv.fr/IMG/pdf/valette-du-var-la\\_per\\_19890111\\_carte.pdf](http://www.var.gouv.fr/IMG/pdf/valette-du-var-la_per_19890111_carte.pdf)

1 ظريف جواد 2015. تدبير مخاطر الحركات الكتلية للسفوح، حالة القصر الصغير (الريف، المغرب)، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافية، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المحمدية، ص 167.

### 3-2- من تصاميم المناطق المعرضة للأخطار PER إلى تصاميم الوقاية من الأخطار PPR:

تعتبر تصاميم الوقاية من الأخطار PPR وثيقة للتخطيط الحضري، والتي تنظم استعمال التربة في علاقتها بالأخطار الكبرى. ظهر هذا التصميم اعتمادا على قانون 2 فبراير 1995<sup>1</sup> المتعلق بحماية البيئة، ويغطي هذا التصميم 11395 جماعة إلى حدود 1 أغسطس 2017<sup>2</sup>.

يهدف هذا التصميم حسب المادة 1-652 L من قانون البيئة، بتحديد التدابير التقنية التحسيسية للوقاية من الأخطار الطبيعية، والتخفيف من خسائرها البشرية، والاجتماعية والبيئية والاقتصادية والمادية، وحماية البنايات السكنية والمؤسسات والفضاءات العامة والمساحات الخضراء<sup>3</sup>.

يهدف هذا التصميم إلى تحقيق التنمية المستدامة، عبر ضبط وتحديد نوع البناء والأشغال والتهيئة، والاستغلال الزراعي والغابوي والحرفي والتجاري والصناعي، والفضاءات الثقافية والزراعية، وتقنيات الحماية والوقاية، وذلك حسب مميزات كل منطقة ودرجة خطورتها، فالمناطق الخطرة تتميز بصعوبة تهيئتها وتعميرها، عكس المناطق المتوسطة والأقل عرضة للأخطار.

يتم إدراج المناطق المهددة بخطر الحركات الكتلية في تصميم PPR، اعتمادا على مجموعة من الخطوات (شكل 27)، وتمثل في: تحديد المنطقة المهددة، والقيام بجرد ووصف أشكال الحركات وتحديد الرهانات البشرية والسوسيواقتصادية ثم تقدير حجم الأخطار<sup>4</sup>.

ينقسم تصميم الوقاية من الأخطار PPR إلى ثلاث مناطق حسب احتمال حدوث خطر الحركات الكتلية، وهي على الشكل الآتي:

✓ **المنطقة الحمراء:** منطقة ذات احتمال قوي أن تحدث بها حركات كتلية، لذلك يجب العمل على تأمين السكان والممتلكات، وعدم زيادة الرهانات لكي لا تتعرض للخطر. يمنع في هذه المنطقة القيام بالعمليات المرتبطة بالأشغال والبناء والتشييد والتهيئة، وخصوصا التي قد تتسبب في تفاقم الخطر، مثل: حفر وتقليب ورودم ونقل التربة، والعمل على منع تسرب مياه الأمطار والصرف الصحي للطبقات الصخرية، ويجب العمل على

1 Ministère de l'aménagement du territoire et de l'environnement, ministère de l'équipement, des transports et du logement 1999. Op, cit, p 8.

2 ظريف جواد 2020. أهمية خريطة الأخطار الجيومورفولوجية للحركات الكتلية بالمناطق الجبلية: دراسة مقارنة بين المغرب وفرنسا، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد 21، العدد 2، ص 122.

3 Bérenger N 2017. La gestion du risque cavités souterraines, guide à l'usage des collectivités, centre d'études et d'expertise sur les risques, l'environnement, la mobilité et l'aménagement (CEREMA) p 5.

4 Ministère de l'aménagement du territoire et de l'environnement, ministère de l'équipement, des transports et du logement 1999. Op cit, p 17.

تصريف هذه المياه في شبكة عامة، أو تصريفها عن طريق خط أنابيب خارج منطقة الخطر، كما يجب أن يخضع هدم المباني للشروط الوقائية، فلا يجب أن تشكل بقايا الهدم حملا زائدا في منطقة الخطر، وأن تخضع الممتلكات والأنشطة الموجودة حاليا لإجراءات الوقاية. يسمح بإنجاز بعض المشاريع المرتبطة بالبنيات التحتية المساهمة في الخدمات العامة، في حدود ما تحتاجه الساكنة، ويتطلب إنجازها اتخاذ التدابير الوقائية.

✓ **المنطقة البرتقالية:** منطقة ذات احتمال متوسط على حدوث خطر الحركات الكتلية، وهي منطقة قابلة للتعمير، ويستحسن تعميمها بمشاريع ذات مساحات صغيرة خصوصا في المراكز الحضرية. يجب اتخاذ جميع التدابير الوقائية والتقنية لحماية هذه المنطقة من احتمال حدوث الأخطار، من خلال مراقبة التدخلات البشرية المخلة باستقرار المنحدرات والحفاظ على المجالات الطبيعية، وتجنب إزالة الغابات وقطع الأشجار، وإجراء دراسة جيوتقنية للمشاريع التي تتعدى مساحتها 20 متر<sup>2</sup>، ويرخص للمشاريع التي تأخذ بعين الاعتبار الأخطار في تصميمها، والعمل على تصريف مياه الأمطار والصرف الصحي بشكل لا يساهم في تشيع الطبقات الصخرية. تمنع جميع الأعمال والتعديلات والمشاريع التي قد تؤدي إلى زيادة الأخطار، مثل أعمال الحفر والتنقيب وتعديل الإنشاءات.

✓ **المنطقة الصفراء:** منطقة ذات احتمال ضعيف على حدوث خطر الحركات الكتلية، وهي منطقة قابلة للتعمير دون إكراهات، ويمكن أن تستقبل مشاريع استراتيجية، ويجب إجراء دراسة جيوتقنية للمشاريع التي تتجاوز مساحتها 50 متر<sup>2</sup>.

### 3- يركز تدبير خطر الحركات الكتلية بفرنسا على إخبار السكان بالمناطق المهددة:

تنص المادة R.125-11 من مدونة البيئة سنة 2000، على أحقية المواطنين في الحصول على المعلومات الكافية حول الأخطار الكبرى، التي تهدد مناطق سكنهم وعملهم وترفيههم، والنتائج المحتملة في حالة حدوثها على الأفراد والممتلكات والبيئة، ثم التدابير والإجراءات الوقائية الواجب اتخاذها. لذلك تعمل الجماعات المحلية بفرنسا على توفير هذه المعلومات وخصوصا في الجماعات الأكثر تهديدا، وتتميز بالرهانات البشرية والاقتصادية والثقافية، ونصت على ذلك أيضا المادة 21 من قانون 22 يوليو 1987<sup>2</sup>.

ألزم قانون 30 يوليو 2003، المتعلق بالوقاية من الأخطار الصناعية والتكنولوجية والطبيعية، صاحب الملك العقاري المسجل ضمن المجال الخاضع لتصميم الوقاية من الأخطار، بضرورة إخبار المشتري أو المكثري لعقاره، بالأخطار التي تهدد المنطقة حيث يوجد الملك العقاري. ومنذ 1 يونيو 2006 أصبح لزاما على البائع

1 Direction départementale des territoires de la Moselle, service risques énergie construction circulation urbanisme et prévention des risques 2017. Plan de prévention de risque naturel de glissements de terrain, Commune de Clouange, p 8.

2 [https://www.haute-savoie.gouv.fr/content/download/5972/30797/file/DCS\\_JUVIGNY\\_cle6178e9-1.pdf](https://www.haute-savoie.gouv.fr/content/download/5972/30797/file/DCS_JUVIGNY_cle6178e9-1.pdf)

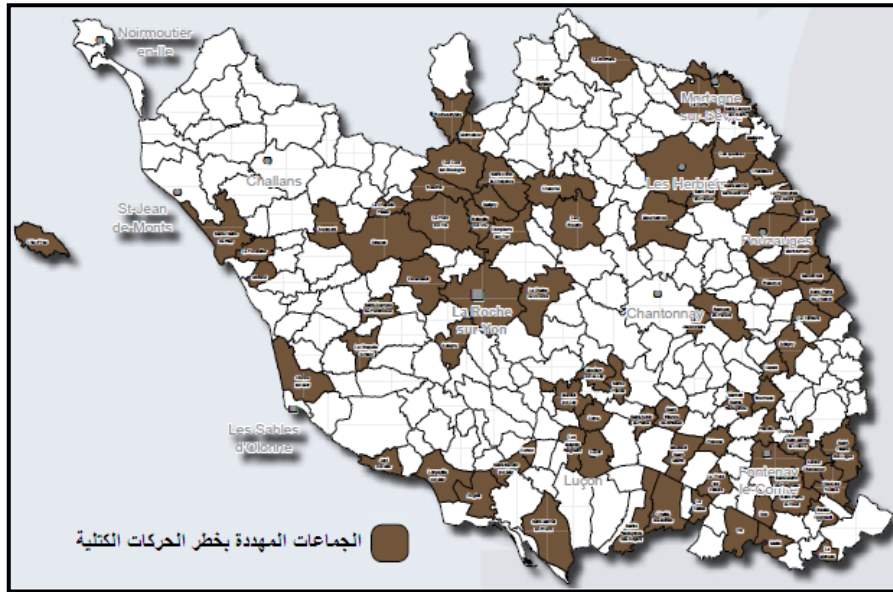
والمؤجر لملك عقاري في منطقة خطر طبيعي، أن يدرج حالة الخطر في عقد البيع والكرء، وقائمة الأضرار التي يمكن أن تلحق بالملك ونتائجها<sup>1</sup>.

وضح مرسوم 11 أكتوبر 1990 الملفات والوثائق اللازمة، لتقديم المعلومات للمواطنين فيما يتعلق بالأخطار التي تهدد منطقة سكنهم، وتمثل في؛ الملف الإداري للأخطار الكبرى، والملف الجماعي التركيبي ووثيقة المعلومات الجماعية حول الأخطار الكبرى.

### 3-1- الملف الإداري للأخطار الكبرى (DDRM):

يشكل هذا الملف مساهمة من مصالح الدولة في التعرف على الأخطار<sup>2</sup>، ويتكلف الوالي بالإشراف على إنجازه، طبقا للمادة R125-11 من مدونة البيئة، ويقدم جردا للأخطار الكبرى الطبيعية، والتكنولوجية والصناعية التي يحتمل حدوثها بمنطقة إشرافه. يتكون هذا الملف من خرائط تحدد الجماعات التي يحتمل أن تحدث بها الأخطار الكبرى ومن ضمنها الحركات الكتلية (خريطة 1).

خريطة 1: الجماعات المهددة باحتمال حدوث الحركات الكتلية بولاية فوندي Vendée



Source : [https://www.vendee.gouv.fr/IMG/pdf/DDRM\\_de\\_la\\_Vendee.pdf](https://www.vendee.gouv.fr/IMG/pdf/DDRM_de_la_Vendee.pdf)

يقدم هذا الملف أيضا التدابير والتقنيات والتعليمات الواجب اتخاذها من طرف المواطنين، لحمايتهم من الأخطار الكبرى (جدول 1)، كما يتضمن جردا للجماعات التي يجب إخبار الساكنة بالأخطار الكبرى التي تهدد

1 Centre d'Études sur les réseaux, les transports, l'urbanisme, et les constructions publiques 2009. 30 fiches pour mieux intégrer les risques dans l'aménagement, rapports d'étude, ISSN 1263-2570, p 47.

2 Observatoire Régional des Risques Naturels 2009. Op cit, p26.

منطقة سكنهم، ويتولى هذه المهمة العمدة. يتقاسم الوالي هذا الملف مع المنتخبين والفاعلين في الميدان والمواطنين للوصول لتدبير أحسن للأخطار.

جدول 1: تعليمات الحماية للأفراد من خطر الحركات الكتلية كما هي محددة في منطقة DDRM Isère

تعليمات الحماية للأفراد: 1- اختبئ 2- استمع للمذيع 3- احترم التعليمات		
قبل	خلال	بعد
<b>في حالة انهيار وتساقط الحجارة وانزلاق أرضي</b>		
استفسر عن الأخطار وتعليمات الحماية.	- اهرب جانبا. لا ترجع للخلف. - اصعد إلى نقطة مرتفعة. لا تدخل مبنى متأثر بالحركة. - احتبي تحت قطعة أثاث صلبة بعيدا عن النوافذ.	- قم بجرد الخسائر - أخبر السلطات.
<b>في حالة تهديل التربة</b>		
	في الداخل: - منذ الإشارات الأولى للحركة، اخرج من العمارة ولا ترجع لها ولا تستعمل المصعد. في الخارج: - ابتعد عن منطقة الخطر. - احترم تعليمات السلطات. - التحق بمكان التجمع المشار إليه.	

Source : [http://www.isere.gouv.fr/content/download/51401/350670/file/DDRM\\_2020\\_RisquesNaturels.pdf](http://www.isere.gouv.fr/content/download/51401/350670/file/DDRM_2020_RisquesNaturels.pdf)

3-2- الملف البلدي التركيبي للأخطار الكبرى (DCS):

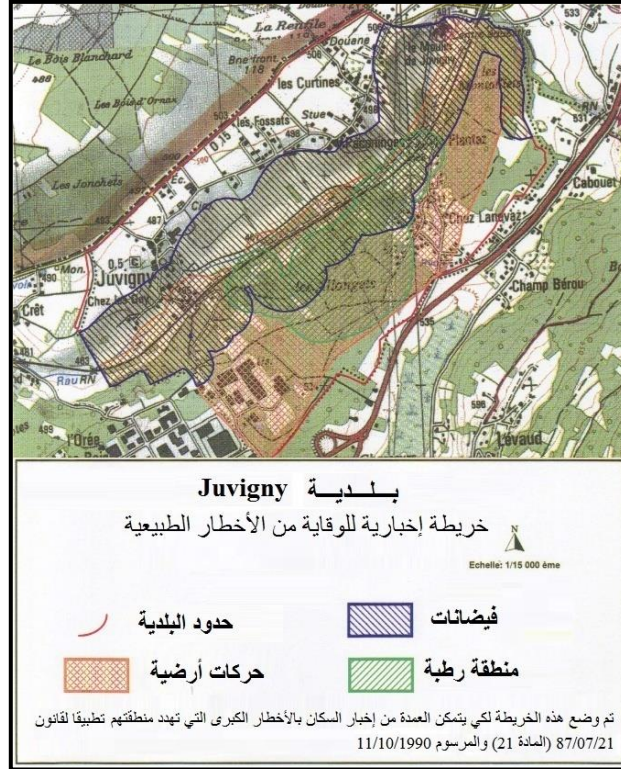
وثيقة تنظيمية تقدم الأخطار الطبيعية والتكنولوجية التي تهدد الجماعة، ويهدف إلى إخبار وتحسيس المواطنين، ويوضع هذا الملف تحت مشورة عمادة المدينة.

3-3- وثيقة المعلومات الجماعية حول الأخطار الكبرى (DICRIM):

وثيقة للتواصل بين السلطات العمومية والمواطنين فيما يتعلق بالأخطار التي يحتمل أن تحدث بمنطقة سكنهم<sup>1</sup>، ويقوم بإعدادها العمدة بالمنطقة التي يشرف على تسييرها، لإخبار السكان وتأمين منطقة عيشهم وممتلكاتهم، من الأخطار الطبيعية والتكنولوجية، ويتلقى المساعدة من طرف جميع الإدارات العمومية،

وتشرف عليه الشرطة. تقدم هذه الوثيقة جرداً للأخطار الكبرى بما فيها الحركات الكتلية، ومعززة بخرائط توضيحية (خريطة 2).

### خريطة 2: خريطة لإخبار السكان بالأخطار الطبيعية بجماعة جيفيني Juvigny



Source :[www.hautesavoie.gouv.fr/content/download/5972/30797/file/DCS\\_JUVIGNY\\_cle6178e9-1.pdf](http://www.hautesavoie.gouv.fr/content/download/5972/30797/file/DCS_JUVIGNY_cle6178e9-1.pdf)

تقترح وثيقة المعلومات الجماعية حول الأخطار الكبرى، وسائل للإنذار بحدوث الخطر، والتقنيات والتدابير الوقائية الواجب اتخاذها من طرف الساكنة، والجهات المتدخلة في عمليات البناء (شكل 2) والتهيئة للوقاية من الأخطار.

### شكل 2: بعض التدابير الوقائية من الحركات الكتلية بـ DICRIM جماعة غيدي GIDY



Source:[cdn1\\_2.reseaudescommunes.fr/cities/249/documents/b0yz2qh0o2u3ak9.pdf](http://cdn1_2.reseaudescommunes.fr/cities/249/documents/b0yz2qh0o2u3ak9.pdf)

تقدم DICRIM أيضا تعليمات وتوصيات للسلامة الفردية، الواجب احترامها وإتباعها قبل وخلال وبعد حدوث الحركات الكتلية (شكل 3)، ويتم إرفاق هذه الوثيقة ببلاغ عند إدراج الجماعة ضمن تصميم الوقاية من الأخطار PPR.

شكل 3: بعض التدابير الوقائية قبل وأثناء وبعد حدوث الحركات الكتلية ب DICRIM بجماعة غيدي GIDY



Source:cdn1\_2.reseaudescommunes.fr/cities/249/documents/b0yz2qh0o2u3ak9.pdf

4- تتميز الشوارع الفرنسية بملصقات لتحسيس السكان بالأخطار التي تهدد منطقة عيشهم:

تتوفر مجموعة من الجماعات على ملصقات توضع في الشارع العام (صورة 1)، وتقدم معلومات عن الأخطار الطبيعية، والصناعية والتكنولوجية التي تهدد السكان بمنطقة سكنهم، باستعمال رموز توجي بالخطر الذي يحتمل حدوثه (شكل 4)، وتتضمن هذه الملصقات أيضا، الإجراءات الواجب اتخاذها من طرف المواطن في عين المكان. يمكن للسلطات المحلية وضع هذه الملصقات في محلات الاستقبال لأكثر من 50 نسمة، وفي العمارات التي تضم أكثر من 15 مسكنا، وفي المعسكرات ومواقف السيارات التي تضم أكثر من 50 نسمة، كما يتوجب على مالكي الأراضي والعمارات وضع هذه الملصقات في مداخل البنايات، أو بمعدل ملصق واحد في كل 5000 متر<sup>2</sup>.

صورة 1: ملصق بالشارع العام لإخبار السكان بالأخطار التي تهدد منطقة سكنهم والتدابير الواجب اتخاذها.



Source :[www.mementodumaire.net/wp-](http://www.mementodumaire.net/wp-content/uploads/2012/09/demarche_prevention_risques_majeurs.pdf)

[content/uploads/2012/09/demarche\\_prevention\\_risques\\_majeurs.pdf](http://www.mementodumaire.net/wp-content/uploads/2012/09/demarche_prevention_risques_majeurs.pdf)

شكل 4: الرموز المستعملة لإخبار السكان بالأخطار الكبرى بمنطقة سكنهم



Source :www.mementodumaire.net/wp-

content/uploads/2012/09/demarche\_prevention\_risques\_majeurs.pdf

5- تم بفرنسا إنشاء موقع إلكتروني لتوضيح طبيعة الخطر الذي يهدد المناطق السكنية:

87

قامت الإدارة العامة للوقاية من الأخطار، بإنشاء موقع إلكتروني <http://georisques.gouv.fr> في 10 يوليو 2014<sup>1</sup>، ليتمكن السكان من معرفة طبيعة الخطر الطبيعي، والصناعي والتكنولوجي الذي يهدد منطقة سكنهم، وبالتالي يمكن للمواطنين بفرنسا إدخال معلوماتهم الشخصية المتعلقة بعنوان السكن، أو المعلومات حول اسم الجماعة التي ينتمون لها (صورة 2)، وتحميل ملف يوضح طبيعة الأخطار التي تهدد منازلهم وبلديتهم (صورة 3)، ويمكن لهذه المعلومات أن تشكل قاعدة أساسية لاتخاذ التدابير الوقائية من طرف المتدخلين والفاعلين في المجال، كما وضعت الدولة أيضا خريطة أخرى بموقع [rpcache-aa.meteofrance.com](http://rpcache-aa.meteofrance.com) لإخبار السكان بالأخطار المناخية التي تهدد منطقة سكنهم.

صورة 2: بوابة [georisques.gouv.fr](http://georisques.gouv.fr)

Source :<https://www.georisques.gouv.fr/mes-risques/connaitre-les-risques-pres-de-chez-moi#main>

1 Ministère de l'Environnement, de l'Énergie et de la Mer 2015. Prévention des risques liés aux effondrements de cavités souterraines, actes du colloque, 2e rencontre nationale, p 13.

صورة 3: المعلومات المقدمة من بوابة [georisques.gouv.fr](http://georisques.gouv.fr)، وتبين أن المنطقة ذات احتمال قوي على حدوث انخساف-انتفاخ أرضي، واحتمال ضعيف جدا على حدوث الزلازل، إضافة إلى تركيزات صناعية.

Adresse :  
Savoie, 47120 Lévigac-de-Guyenne

Informations sur la commune

Nom : LEVIGNAC-DE-GUYENNE	Code INSEE : 47147
Code Postal : 47120	Commune dotée d'un DICRIM : Non
Département : LOT-ET-GARONNE	Nombre d'arrêtés de catastrophes naturelles : 8 (détails en annexe)
Région : Nouvelle-Aquitaine	Population à la date du 23/02/2016 : 609

Quels risques peuvent impacter la localisation ?

Retrait-gonflements des sols Aléa fort	Séismes 1 - TRES FAIBLE	Installations industrielles

Source:<https://www.georisques.gouv.fr/mes-risques/connaitre-les-risques-pres-de-moi#main>

#### 6- يعتبر تأمين الأفراد عن الأخطار الطبيعية إجراء أساسي بفرنسا:

تنص المادتين L 125-5 و R125-26 من مدونة البيئة بفرنسا على ضرورة تعويض المتضررين من الأخطار الطبيعية، وهو ما نص عليه سابقا قانون 13 يوليو 1981 المتعلق بتعويض ضحايا الأخطار الطبيعية، والذي جعل التأمين عن الأخطار الطبيعية إجباريا على الأفراد في جميع المناطق المهددة بحدوثها، وحتى التي تتميز بدرجة خطر ضعيفة أو منعدمة<sup>1</sup>، وقد بينت الإحصائيات، أن أكثر من 99% من الأسر منخرطة في عقود للتأمين عن الممتلكات بمقر إقامتهم، وتتضمن هذه العقود أيضا التغطية عن الكوارث الطبيعية<sup>2</sup>.

1 Maquaire O 2002. Aléas géomorphologiques (mouvements de terrain) – processus, fonctionnement, cartographie, mémoire de recherche, pour obtenir le diplôme d'habilitation à diriger des recherches, Université louis pasteur Strasbourg, p 21.

2 Commissariat général au développement durable 2014. Les déterminants du cout des catastrophes naturelles : le rôle du changement climatiques en France, études et documents, n°103, p 10.

تقدم فرنسا وإسبانيا ونيوزيلاندا نماذج مجربة ومختبرة للتأمين المختلط من خلال إدماج الأخطار الطبيعية. حسب المادة L125-1 من مدونة التأمين، فإن شركات التأمينات ملزمة على إدماج تأمين الأفراد عن الأخطار الطبيعية إلى جانب التأمين عن الأضرار التي تلحق الممتلكات والانقطاع عن العمل<sup>1</sup>، ويشمل برنامج تعويض الكوارث الطبيعية 80000 منزلاً سنوياً، بمعدل يصل إلى 20000 يورو منذ عام 2017، وقد تم تعويض 780 ألف شخص، أو 340 ألف منزل، بإجمالي 5.5 مليار يورو<sup>2</sup>.

#### 7- يتم بفرنسا إدماج خطر الحركات الكتلية في وثائق التأمين:

تنص المادة L.121-1 من مدونة التأمين على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الأخطار في وثائق التأمين، وفي المشاريع والقرارات التي تهم استعمال التربة، وحسب المادتين R.111-2 و R.111-3 فإن عمليات البناء والتشييد في المناطق الخطرة، تخضع لضرورة التوفر على رخصة مسلمة من طرف الجهات المسؤولة<sup>3</sup>. تعتبر خريطة الخطر الطبيعي المرتبط بالحركات الكتلية وثيقة أساسية، لأنها تحدد المناطق المهددة باحتمال حدوث هذه الحركات، وتعتمد عليها فرنسا في وثائق التأمين لتوجيه نمو وتوسع المدن، حيث يحتمل حدوث الحركات الكتلية، وهي المدن التي تخضع لتصميم الوقاية من الأخطار، ففي تصميم التنطيق (تصميم (2)، يتم تقسيم المجال حسب قابليته للتعمير، إلى :

**منطقة باللون الأحمر:** غير قابلة للتعمير، لأنها تتميز بخصائص طبوغرافية وصخرية محرصة على حدوث الحركات الكتلية، كما تتميز بصعوبة اتخاذ تدابير وتقنيات الوقاية والحماية.

**منطقة باللون الأزرق:** قابلة للتعمير، إذا تم اتخاذ بعض التقنيات الوقائية لتثبيت التكوينات الصخرية بالمنحدرات، وتجفيفها من الماء خلال الفصل الرطب، ثم تدابير وتقنيات أخرى خلال فترة إنشاء المساكن والمنشآت العامة والخاصة، كما أنها مناطق لا تتحمل كثافات سكانية مرتفعة.

**منطقة باللون الأبيض:** قابلة للتعمير، دون اتخاذ تدابير وتقنيات الوقاية والحماية، لأنها لا تطرح أي مشاكل وتحديات طبوغرافية، وهي مناطق ثابتة ومستقرة وغير مهددة بالحركات الكتلية، وتعرف هذه المنطقة غالباً بتركز أغلب التجمعات السكنية.

تصميم 2: تصميم التنطيق 1/2000 لجماعة الشمس الجميلة Beausoleil بإقليم الألب البحري

Alpes-Maritimes

1 Nachbar P 2017. Les systèmes d'indemnisation des catastrophes naturelles, direction de l'initiative parlementaire et des délégations, p 16.

2 [https://www.senat.fr/cra/s20211021/s20211021\\_0.html](https://www.senat.fr/cra/s20211021/s20211021_0.html)

3 Centre d'Études sur les réseaux, les transports, l'urbanisme, et les constructions publiques 2009. Op, cit, p 44.

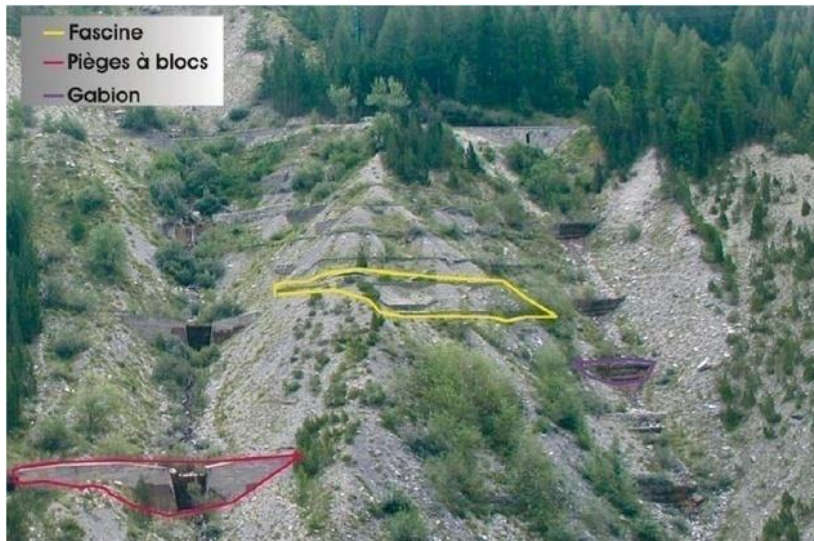


المصدر: ظريف جواد 2020. مرجع سابق، ص 123.

#### 8- بعض التقنيات المستعملة بفرنسا لتثبيت المنحدرات والوقاية من الحركات الكتلية:

يتم بفرنسا استعمال مجموعة من التقنيات (صور 4 و5 و6 و7 و8 و9 و10 و11) لتثبيت المنحدرات وتجنب حدوث الحركات الكتلية، وتكتسي هذه التقنيات أهمية بالغة، حيث يتم إنشائها في المناطق ذات درجة الخطر المتوسطة والمرتفعة والمرتفعة جدا، للتخفيف من قوة الحركات الكتلية السريعة الفجائية المدمرة.

صورة 4: حواجز سطحية لعرقلة التدفقات الوحلية بمنطقة الألب البحري Alpes-Maritimes



Source: <http://observatoire-regional-risques-paca.fr/article/coulees-boues-mesures-protection>

صورة 5: تقنية الرواق المسلح (القبة) بمنطقة عالية الألب Hautes-Alpes



Source :<http://observatoire-regional-risques-paca.fr/article/mesures-protection-contre-instabilites-rocheuses-parades-passives>

صورة 6: تقنية الحاجز بفرنسا



Source : Autoroutes du Maroc, Ecole hassania des travaux publics 2012. Op cit, p 51.

صورة 7: تقنية صرف المياه السطحية بمنطقة الألب البحري Alpes-Maritimes



Source : <http://observatoire-regional-risques-paca.fr/article/stabilisation-glissemments-terrain>

صورة 8: استعمال تقنية جدار غايون بجماعة أرفيو Arvieux



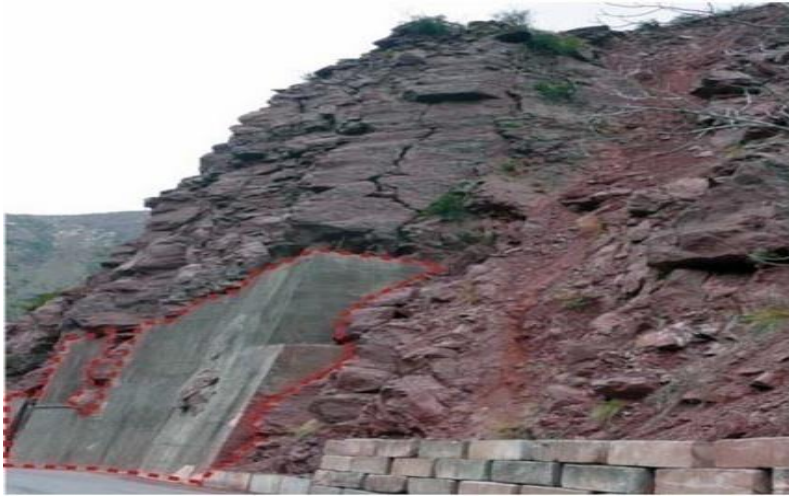
Source : <http://observatoire-regional-risques-paca.fr/article/stabilisation-glissemments-terrain>

صورة 9: تقنية الشباك المعلقة والمثبتة بأعمدة بمنطقة لاكلوزوميجو La Cluse-et-Mijoux



Source :<https://www.doubs.gouv.fr/content/download/31168/196469/file/Le%20risque%20MVT.pdf>

صورة 10: تقنية العمود الخرساني بفرنسا



Source :<http://observatoire-regional-risques-paca.fr/article/mesures-protection-contre-instabilites-rocheuses-parades-actives>

صورة 11: تقنية تطهير وإعادة تشكيل المنحدرات بجماعة شورونش Choranche en Isère



/Source:<https://acrobatx.fr/medias/reprofilage-de-paroi-rocheuse-isere>

## خلاصة:

تعتبر التجربة الفرنسية رائدة في مجال تدبير أخطار الحركات الكتلية، وبالتالي يمكن للمغرب أن يستفيد منها لتعزيز مرونة المناطق المهددة بهذا الصنف من الأخطار الطبيعية. راکمت فرنسا خبرتها في مجال تدبير الأخطار منذ عدة سنوات، فانتقلت من خرائط ZERMOS إلى PER ثم PPR، وترتكز الخطة الفرنسية على عدة مبادئ أساسية، نذكر منها: إخبار وحماية السكان من الخطر، عبر إنجاز خرائط، ووثائق إدارية ومواقع إلكترونية، توضح طبيعة الخطر الذي يهدد منطقتهم، وكيفية التصرف قبل وخلال وبعد حدوث الحركات الكتلية، إضافة إلى منع التعمير في المناطق الخطيرة جدا وتوجيهه نحو المناطق الآمنة، وتحديد وضبط نوع البناء، والأشغال والتهيئة بالمناطق متوسطة الخطر، من خلال إدماج خرائط درجات الخطر في وثائق التعمير، ثم حث السكان على الانخراط في التأمين عن الأخطار الطبيعية.

## \*قائمة المصادر والمراجع:

1. ظريف جواد 2020. أهمية خريطة الأخطار الجيومورفولوجية للحركات الكتلية بالمناطق الجبلية: دراسة مقارنة بين المغرب وفرنسا، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد 21، العدد 2.
2. \*ظريف جواد 2015. تدبير مخاطر الحركات الكتلية للسفوح، حالة القصر الصغير (الريف، المغرب)، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافية، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المحمدية.
3. \*Autoroutes du Maroc, école Hassania des travaux publics 2012. Eléments de stabilité des pentes au rocher, 1<sup>ère</sup> édition.
4. Bérenger N 2017. La gestion du risque cavités souterraines, guide à l'usage des collectivités, centre d'études et d'expertise sur les risques, l'environnement, la mobilité et l'aménagement (CEREMA).
5. \*Cadiot B, Delaunay J M, Humbert M, Vogt J 1979. Inventaire et étude des risques géologiques en France au service géologique national. In: Espace géographique, tome 8, n°1, pp 49-56.
6. \*Centre d'études sur les réseaux, les transports, l'urbanisme, et les constructions publiques 2009. 30 fiches pour mieux intégrer les risques dans l'aménagement, rapports d'étude, ISSN 1263-2570, 111.

7. \*Commissariat général au développement durable 2014. Les déterminants du cout des catastrophes naturelles : le rôle du changement climatiques en France, études et documents, n°103.
8. \*Commune de GIDY 2020. Document d'information communal sur les risques majeurs.
9. \*Direction départementale des territoires de la Moselle, service risques énergie construction circulation urbanisme et prévention des risques 2017. Plan de prévention de risque naturel de glissements de terrain, Commune de Clouange.
- 10.\*Maquaire O 2002. Aléas géomorphologiques (mouvements de terrain) – processus, fonctionnement, cartographie, mémoire de recherche, pour obtenir le diplôme d'habilitation à diriger des recherches, Université louis pasteur Strasbourg.
- 11.\*Ministère de l'aménagement du territoire et de l'environnement, ministère de l'équipement, des transports et du logement 1999. Plans de prévention des risques naturels, risques des mouvements de terrain, guide méthodologique, la documentation française, paris.
- 12.\*Ministère de l'environnement, de l'énergie et de la mer 2015. Prévention des risques liés aux effondrements de cavités souterraines, actes du colloque, 2<sup>e</sup> rencontre nationale.
- 13.\*Nachbar P 2017. Les systèmes d'indemnisation des catastrophes naturelles, direction de l'initiative parlementaire et des délégations.
- 14.\* Observatoire Régional des Risques Naturels 2009. Cartographie de susceptibilité aux mouvements de terrain de la région Languedoc-Roussillon, rapport final, BRGM/RP-56409-FR
- \*لائحة الويبوغرافيا:
- \*[cdn1\\_2.reseaudescommunes.fr/cities/249/documents/b0yz2qh0o2u3ak9.pdf](http://cdn1_2.reseaudescommunes.fr/cities/249/documents/b0yz2qh0o2u3ak9.pdf)
- \*<http://infoterre.brgm.fr/rapports/RR-40172-FR.pdf>
- \*<http://observatoire-regional-risques-paca.fr/article/coulees-boues-mesures-protection>
- \*<http://observatoire-regional-risques-paca.fr/article/mesures-protection-contre-instabilites-rocheuses-parades-passives>
- \*<http://observatoire-regional-risques-paca.fr/article/stabilisation-glissements-terrain>
- \*<http://observatoire-regional-risques-paca.fr/article/mesures-protection-contre-instabilites-rocheuses-parades-actives>

\*[http://www.isere.gouv.fr/content/download/51401/350670/file/DDRM\\_2020\\_RisquesNaturals.pdf](http://www.isere.gouv.fr/content/download/51401/350670/file/DDRM_2020_RisquesNaturals.pdf)

\*[http://www.var.gouv.fr/IMG/pdf/valette-du-var-la\\_per\\_19890111\\_carte.pdf](http://www.var.gouv.fr/IMG/pdf/valette-du-var-la_per_19890111_carte.pdf)

\*<https://acrobatx.fr/medias/reprofilage-de-paroi-rocheuse-isere/>

\*<https://eduscol.education.fr/sti/sites/eduscol.education.fr.sti/files/ressources/pedagogiques/8525/8525-les-glissements-de-terrains-modelisation-et-prevision-ensps.pdf>

\*<https://www.doubs.gouv.fr/content/download/31168/196469/file/Le%20risque%20MVT.pdf>

\*<https://www.francebleu.fr/infos/environnement/cavites-souterraines-des-communes-du-poitou-baties-sur-des-sous-sols-en-gruyeres-1573741806>

\*<https://www.georisques.gouv.fr/mes-risques/connaitre-les-risques-pres-de-chez-moi#main>

\*[https://www.haute-savoie.gouv.fr/content/download/5972/30797/file/DCS\\_JUVIGNY\\_cle6178e9-1.pdf](https://www.haute-savoie.gouv.fr/content/download/5972/30797/file/DCS_JUVIGNY_cle6178e9-1.pdf)

\*[https://www.senat.fr/cra/s20211021/s20211021\\_0.html](https://www.senat.fr/cra/s20211021/s20211021_0.html)

\*[https://www.senat.fr/rap/1989-1990/i1989\\_1990\\_0318.pdf](https://www.senat.fr/rap/1989-1990/i1989_1990_0318.pdf)

\* [https://www.vendee.gouv.fr/IMG/pdf/DDRM\\_de\\_la\\_Vendee.pdf](https://www.vendee.gouv.fr/IMG/pdf/DDRM_de_la_Vendee.pdf)

\*<https://www.vie-publique.fr/sites/default/files/rapport/pdf/283821.pdf>

\*[www.hautesavoie.gouv.fr/content/download/5972/30797/file/DCS\\_JUVIGNY\\_cle6178e9-1.pdf](http://www.hautesavoie.gouv.fr/content/download/5972/30797/file/DCS_JUVIGNY_cle6178e9-1.pdf)

\*[www.mementodumaire.net/wp-content/uploads/2012/09/demarche\\_prevention\\_risques\\_majeurs.pdf](http://www.mementodumaire.net/wp-content/uploads/2012/09/demarche_prevention_risques_majeurs.pdf)

## شكاوى والتماسات اليهود إلى الخلفاء الفاطميين بمصر من خلال وثائق الجنيزة

Complaints And Petitions Of The Jews to Fatimid Caliphs in Egypt by the Genizah Documents

محمد جمعة عبد الهادي موسى باحث دكتوراه/جامعة القاهرة، مصر

PH.D Research Mohamed Gomaah Abdelhady Mosaa/Cairo University, Egypt

**Abstract:**

This research aims to address the official complaints and petitions of the Jews to the Fatimid caliphs in Egypt through the Genizah documents, including: a complaint about (taxes), by the Fatimid caliph al-Zahir to honor the religion of God. And a religious complaint to the Fatimid caliph, Al-Mustansir Billah, regarding (the closure of the Palestinian synagogue in Fustat). The importance of the subject lies in considering the complaints and petitions as the mirror of the age, which reflects to us many facts about the political, economic and social life related to society. As it reveals the conditions of society by virtue of being one of the recognized official means, which is guaranteed by the state apparatus (the Council for the Review of Grievances, in the Fatimid era).

**Keywords:** The Fatimid state in Egypt, the Fatimid caliphs, consideration of complaints and petitions, the Jewish community, funeral documents, complaints and petitions of individuals, taxes, fustat, the Jewish synagogue in Fustat, religious affairs.

## ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تناول الشكاوى والألتِماسات الرسمية لليهود إلى الخلفاء الفاطميين بمصر من خلال وثائق الجنيزة، ومنها: شكوى بشأن (الضرائب)، للخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله. وشكوى دينية والتماس إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بشأن (إغلاق الكنيس الفلسطيني في القسطنطينية)، وقد رُفعت هذه الشكاوى إلى الخلفاء الفاطميين، وكتبت وحررت مُسوِّداتُها عن طريق ديوان الإنشاء الفاطمي. وتكمن أهمية الموضوع في اعتبار الشكاوى والألتِماسات مِرآة العَصْر التي تَعكس لنا العَديد من الحَقَائِق عن الحياة السِّياسِيَّة والاقتصاديَّة والأجتماعِيَّة المُتعلِّقة بالمُجتمَع؛ إذ هي كاشِفَةٌ لأحوال المُجتمَع بِحُكْمِ أَمَّا واحدة من الوسائل الرِّسْمِيَّة المُعترف بها، والتي يَكفُلُها جهاز الدَّولة (مجلس النَّظَر في المظالم، في العَصْر الفاطمي).

الكلمات المفتاحية: الدولة الفاطمية بمصر، الخلفاء الفاطميون، النظر في الشكاوى والمظالم، الطائفة اليهودية، وثائق الجنيزة، جنيزة القاهرة، شكاوى والتماسات الأفراد، الضرائب، القسطنطينية، الكنيس اليهودي بالقسطنطينية، الشؤون الدينية.

## مقدمة:

«حَظِيَّتْ الألتِماسات بِشَعْبِيَّة طويَلة الأمد بين القرون الوُسْطَى؛ لأنها توفر فرصة رائعة لفحص كيفية تفاعل الطوائف الأجتِمَاعِيَّة المختلفة مع المسؤولين كما سَمَحَتْ الألتِماسات للمؤرخين بتطبيق مناهج من القَاعِدَة إلى القِمَّة في دِرَاسَة الحياة الأجتِمَاعِيَّة، وإعطائهم مَحَّة عن حياة الفئات المهمشة مثل النساء والعُمَّال»<sup>(1)</sup>. وينطبق ذلك على العَصْر الفاطمي، وبشكل يُظهر العديد من الجوانب المجهولة لهذه الفئات. فقد «كانت مصر في العهد الفاطمي مثالا واضحا على شَعْبٍ تعددت فيه الأعراق والأجناس والديانات... وكان لها دور بارز في إدارة الدَّولة بطريقة أو بأخرى؛ كاليهود في إشغال الوظائف، أو تقليد المناصب»<sup>(2)</sup>. كما «تنوع سكان القاهرة في العصور الوُسْطَى... بناءً على دِرَاسَة المَصَادِر التي تتناول وصف المُجتمَع الفاطمي، وليس فقط وفقًا للتسلسل الزمني، ولكن وفقًا لعرق مُختلِف الفرق»<sup>(3)</sup> وخاصة اليهود؛ حيث كانت «البِنِيَّة الأجتِمَاعِيَّة لهم في

(1) Lidia Zanetti Domingues: «Petitions and strategies of persuasion», (English Historical Review, Oxford University Press, 2020), p.

2.

(2) علاء كامل العيساوي: «التركيبة السكانية للمجتمع المصري في عهد الدولة الفاطمية»، (مجلة الدراسات الجغرافية، العدد: 7، 1438هـ/2016م). ونشر أيضًا في: (حولية المنتدى للدراسات الإنسانية، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، 2016م، العدد: 26)، ص 66.

(3) Stephane Pradines: «Identity and Architecture: The Fatimid Walls in Cairo», (Earthen Architecture in Muslim Cultures, 2018), P.104

مصر وفلسطين في العصور الوُسطَى؛ شخصية أكثر من كونها مؤسسية (تعكس الأعراف الإسلاميّة) وتثبت أهمية وجهاء اليهود القرائيين<sup>(1)</sup> وعلاقتهم المُتنامية بالحُكم الفاطمي في مصر<sup>(2)</sup>. وتُعطي وثائق جنيزة القاهرة دلائل جيدة على أن اليهود المصريين انصهروا في المُجتمَع فقطنوا معظم البلدان والمدن المصرية ولم يفرض عليهم الانعزال؛ وتواجد اليهود في نسيج المُجتمَع المصري، واندمجوا بين طياته ووصلوا لدرجة كبيرة من التعايش وحسن الجوار طبقًا للعادات والتقاليد المصرية<sup>(3)</sup>. كما «مثل اليهود في مصر رقمًا مهمًا في معادلة المُجتمَع المصري فكانوا أحد شرايينه النشطة، باعتبارهم مواطنين مصريين، وهو ما جعل بعض الكتاب المستشرقين ينعتهم باليهود المصريين»<sup>(4)</sup>. ونتيجة ذلك «عاش اليهود مع غيرهم من المُسلمين حياة التمازج والتداخل والتلاقي<sup>(5)</sup> بشكل لافت للانتباه، والتي اكتسبوا من خلالها وضعية أهل الدِّمَّة التي أطرت سلوك المُسلمين تجاههم؛ ذلك السلوك القائم على الاحترام وعدم الاعتداء والتعامل بالمعروف وعدم التدخل في شئون اليهود الداخلية؛ دينية أو قضائية .. فثمرة الحُكم الفاطمي كانت بالنسبة لليهود –والنَّصارَى- فترة اندماج حقيقي في الحياة العامة للدولة؛ حيث عاشوا آمنين، مندمجين في البيئة من حولهم .. التسهيلات التي وفرتها الدَّولة الفاطمية لليهود كانت فرصة لم يسبق لها مثيل للمشاركة الأُجتمَاعِيَّة والتَّجَارِيَّة والثقافية، وهو ما دفع البعض إلى أن يصف فترة الحُكم الفاطمي بأنها العصر الذهبي لليهود لما تمتعوا به من ألوان التَّسامُح وأشكال التعايش وعلى شتى المستويات»<sup>(6)</sup>.

(1) «لفرقة القرائيين العديد من الوثائق الواردة بشأنها في جنيزة القاهرة، والتي تناولت العديد من المسائل المهمة المتصلة بهذه الفرقة» راجع في هذا الصدد دراسة:

Geoffrey Khan: «On the Question of Script in Medieval Karaite Manuscripts: New Evidence from the Genizah», (Bulletin of the John Rylands University Library of Manchester, NO. 753, Spring 1993), P. 133-141.

(2) Fred Astren: Review of Marina Rustow, Heresy and the Politics of Community: The Jews of the Fatimid Caliphate, (Cornell University Press, 2008) in The American Historical Review 115:3 (June, 2010), P. 919

(3) محمود أحمد هدية: «اليهود بين التعايش السلمي والمشاركة الاقتصادية في العصر الفاطمي: تسامح الدولة واحتكارهم التجاري: قراءة جديدة في وثائق الجنيزة»، (مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجامعة الإسلامية، 1440هـ/2018م، العدد: 50)، ص 227-265.

(4) Norman Golb: «Legal documents from the Cairo Geniza», (INDIANA UNIVERSITY PRESS: Jewish Social Studies, VOL. 20, NO. 1, January: 1958), P. 32.

(5) Mark R. Cohen: «Jewish and Islamic Life in the Middle Ages :Through the Window of the Cairo Geniza», Joseph V. Montville, ed., History as Prelude Muslims and Jews in the Medieval Mediterranean (Lanham, MD Lexington Books, 2011), P. 1 – 26.

(6) خالد حسين محمود: «جوانب من التسامح وقضايا العيش المشترك بين اليهود والمسلمين في المغرب الأدنى خلال عصري الفاطميين وبنو زيري»: 296-557هـ/1161-908م، (مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1431هـ/مارس 2009م، العدد: 17)، ص 126 وما بعدها.

كما «تفوق الفاطميون في مصر في سياسة عدم التدخل في شؤون أهل الدِّمَّة اليهود والنَّصَارَى، من خلال التراخي، على ما يبدو. كما أن الدرجة البعيدة المدى من الاستقلالية التي تمتع بها اليهود (والمسيحيون بالطبع) أثناء حكمهم لها تفسير بسيط للغاية: أن رعاياهم المسلمون، تُركوا في الغالب لأسلوبهم الخاص أن يكون: "دعه يعمل"»<sup>(1)</sup>. جدير بالإشارة ما أجازه بعض الفقهاء من لجوء أهل الدِّمَّة للقضاء لدى محاكمهم الخاصة<sup>(2)</sup> «وإن كان العرف به جارياً فهو تقليد زعامة ورياسة وليس بتقليد حكم وقضاء وإنما يلزمهم حكمه لالتزامهم له، وإذا امتنعوا عن التحاكم إليه لم يجبروا على ذلك فإذا رجعوا إلى قاضي الإسلام فإنه يقضي بينهم بحكم الإسلام؛ لأنه يكون عليهم أنفذ ولهم ألزم»<sup>(3)</sup>.

وقد «احتفظت جِنِيزَةُ الْقَاهِرَةِ بِالْأَلْفِ النُّصُوصِ الْعَرَبِيَّةِ، مِنْ بَيْنِهَا وَثَائِقُ مِنَ الْإِدَارَةِ الْحُكُومِيَّةِ الْفَاتِمِيَّةِ. الَّتِي أُطْلِقَ عَلَيْهَا: مَجْمُوعَةُ وَثَائِقِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْجِنِينِيزَا؛ كدليل على استراتيجيات الحُكْمِ الْفَاتِمِيَّ»<sup>(4)</sup> تضمنت «مُسَوِّدَاتٍ لِالْتِمَاسَاتِ إِلَى الْخُلَفَاءِ الْفَاتِمِيِّينَ»<sup>(5)</sup>.

«كانت مَرَاثِمُ الْخُلَفَاءِ الْفَاتِمِيِّينَ تَأْتِي فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ رَدًّا عَلَى الشَّكَاوَى وَالِالْتِمَاسَاتِ، وَمِنْ بَيْنِ الْأَجْزَاءِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ مَجْمُوعَةِ تَايَلُورِ شَيْخْتَرِي فِي مَكْتَبَةِ جَامِعَةِ كَامْبَرِيدج، عَثُرَ مُؤَخَّرًا عَلَى نَسْخَةٍ أَرشيفية مِنَ الدِّيَوَانِ الْفَاتِمِيَّ فِي مِصْرٍ عِبَارَةً عَنْ مَرْسُومٍ لِلْخَلِيفَةِ الْحَافِظِ، مُؤَرَّخٍ فِي (528هـ/1134م)<sup>(6)</sup>؛ ذات قيمة كبيرة لدراسة دبلوماسية الفاطميين، وتعطينا نظرة ثاقبة للإجراء الذي تم اتباعه عند إعداد نسخة من المرسوم لأرشيف ديوان الإنشاء»<sup>(7)</sup>. «وقد احتفظت جِنِيزَةُ كَنِيسِ ابْنِ عِزْرَا فِي الْفُسْطَاطِ بِعَشْرَاتِ الْإِلْتِمَاسَاتِ الْمُوَجَّهَةِ إِلَى

(1) Marina Rustow: «Fatimid State Documents», (Jewish History, Springer Nature, B.V. 2019), P. 3.

(2) «لم تكن شهادة الذمي (اليهود والنصارى) تقبل أمام القضاء إذا كانت ضد مسلم أما إذا كانت شهادة ذمي على ذمي فكان يؤخذ بها؛ فكان القاضي محمد بن مسروق الذي ولي قضاء الفسطاط سنة (177هـ/793م) يقبل شهادة القبط واليهود بعضهم على بعض ويسأل عن عدالتهم في أهل دينهم، كما يذكر الكندي في عهد لقاضي بولاية القضاء أن يقبل شهادة بعض أهل الملل على بعض». الكندي: كتابالولاية وكتاب القضاة، نشره رفرن جست، سلسلة جب التذكارية، بيروت، 1326هـ/1908م، ص 351. حورية عبده عبد المجيد سلام: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط حتى العصر الفاطمي، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1391هـ/1971م)، ص 173.

(3) الماوردي: الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، (د.ت)، ص 108 – 109.

(4) Marina Rustow: «Fatimid State Documents», P. 1

(5) S.D. Goitein: «Seminar on Selected Geniza Texts», (S.D. Goitein, ed., Religion in a Religious Age, Cambridge, MA Association for Jewish Studies, 1974), pp. 147

(6) Legal document (T-S Ar.40.37).

(7) Geoffrey Khan: «A Copy of a Decree from the Archives of the Fāṭimid Chancery in Egypt», (Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol. 49, NO. 3, 1986), P. 439, Geoffrey Khan: Arabic Legal and Administrative Documents, Doc: 117.

المديرين الفاطميين في القاهرة والمَرَّاسِيم التي أصدروها ردًا على ذلك»<sup>(1)</sup>. كما «احتفظت جَنِيْرَة الْقَاهِرَة<sup>(2)</sup> بمئات الأَلْتِمَاسَات المكتوبة بالخط العربي للمسؤولين في القصر الفاطمي هذه الأَلْتِمَاسَات أكثر تفصِيْلًا من تلك التي كُتِبَتْ خلال حكم السلالات الإسلاميَّة السابقة»<sup>(3)</sup>.

إنَّ «واحدة من أكثر أنواع الوثائق وَفَرَة هي موضوعات الأَلْتِمَاسَات .. كما لو كانت الأَلْتِمَاسَات الدافع الرئيسي للإدارة وتصميم السِّيَاسَة .. حيث عَكَسَتْ عملية الأَلْتِمَاس والاستجابة الفاطمية نموذجًا محددًا وصريحًا لمؤسسي الدَّوْلَة الفاطمية: كما كانت العلاقة الصحيحة بين الرعايا والحكام تظهر من أجل العدالة. إذ كانت عملية الأَلْتِمَاس والرد واحدة من الوسائل الرئيسية للحاكم للتفاعل مع رعاياه (أو رعاياها)، فقد تم تصميم الإجراء لمنح الأشخاص وصولاً مباشرًا إلى الحاكم المطلق. ولم يكن تقديم الأَلْتِمَاسَات منتشرًا مثل تحصيل الضرائب، لكن تجاوزت الأَلْتِمَاسَات، حسب التصميم، الطبقات الوَسْطَى من البيروقراطية»<sup>(4)</sup>. «فبالإضافة إلى التمثيل السياسي والديني في ظل رئاسة المَهْود، تمكن المَهْود القرائين من الارتقاء في مراتب البيروقراطية الفاطمية»<sup>(5)</sup>. ولذلك «فإنَّ أهمية الطائفة المَهْودية في العَصْر الفَاطِمِي، تجعلنا نُنْظَن تمامًا أن الفاطميين حاولوا كَسْب وَدَّ هذا العنصر النشيط من الشَّعْب المصري»<sup>(6)</sup>.

«إنَّ الوثائق المَعْنِيَّة هي التِمَاسَات مُوجَّهَة إما إلى الخليفة أو إلى الوزير وتتعلق بالشَّكَاوَى أو المظالم الخاصة لمقدمي الأَلْتِمَاسَات .. تفيد في دِرَاسَة الدبلوماسية الخاصة بالعَرِيضَة في الفترة الفاطمية، وتساهم بشيء في معرفة الإدارة الفاطمية: بل ويمكن اعتبارها مفيدة فيما يتعلق بالممارسة البيروقراطية الإسلاميَّة وإقامة العدل بشكل عام»<sup>(7)</sup>.

«قام الفَاطِمِيون بإدارة العَرِيضَة المَفْصَلَة، وإجراءات استجابة تهدف إلى السَّمَّاح بتقديم الشَّكَاوَى ضد مسؤولي الدَّوْلَة بالمَحَاكِم السِّيَادِيَّة، والمُؤَسَّسَات المُمَثَلَة في السَّجَل الوثائقي من خلال الأَلْتِمَاسَات والنصوص .. كما أن المَحَاكِم الشرعية (محاكم القضاة) كانت جهازًا تابعًا للدولة .. وكان على الأنظمة القانونية غير

(1) Marina Rustow: «A petition to a woman at the Fatimid court», p. 1.

(2) اصطلاح جويتين هذا المصطلح في دراساته، وذكره صريحًا تحت: «مصطلح جنيزة القاهرة».

S.D. Goitein: «Urban Housing in Fatimid and Ayyubid Times As Illustrated by the Cairo Geniza Documents», (StudIslamica, NO. 47, 1978), p. 5.

(3) Marina Rustow: «The Fatimid Petition», (Jewish History, Springer Nature, NO. 32, B. V. 2019), pp. 351

(4) Marina Rustow: «Petitions from the medieval Egypt and the problem of Pre-modern Tights», p.2-3

(5) Jacob Chereskin: «Heretics of the Dhimmi: Sectarianism, Karaite Jews and the Fatimid Caliphate», (Formation of Islam, October, 2016), P.5

(6) Wiet, G.: L'Egyptearabe. pp. 118

(7) S. M. Stern: "Three Petitions of the Fatimid Period", p. 172

الإسلامية، والتي كان أفضل توثيق لها هو النظام اليهودي، أن تعتمد عملياً على الإجراءات القسرية التي اتخذتها الدولة لمعاقبة انتهاكات القانون اليهودي وأعراف المجتمع»<sup>(1)</sup>. وفضلاً عن ذلك «أعطت العقيدة الإسماعيلية أهمية كبرى للإمام؛ وأسهمت كتبهم في الحديث عن الإمامة وعن أهميتها وأدلة ثبوتها ومهام الإمام»<sup>(2)</sup>. .. وجعل المذهب الإسماعيلي الأئمة – الخلفاء الفاطميين - أنفسهم الرعاة لمصالح الأمة والأمناء عليها»<sup>(3)</sup>.

وكفلت مراسيم خلفاء الدولة الفاطمية حقوق أهل الذمة؛ فكتاب الأمان لأهل مصر كفل لهم حريتهم بما نص على «إجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه ولكم الأمان التام .. في أنفسكم وأهليكم وأموالكم»<sup>(4)</sup>.

وَزَيَّنَ الخُلفاء الفاطميين مَراسيمهم بجميل عبارات العدل، وحثوا مواليمهم وقضاتهم على: «نشر العدل، وبسط الحق، وحسم الظلم»<sup>(5)</sup>. وأكد على معاني قريبة من ذلك الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، في كتاب تولية قاضي الديار المصرية: «أن يحكم بالحق ويقضي بالقسط ..»<sup>(6)</sup>. وكان «غالباً ما يُنظر إلى الخليفة الحاكم بأمر الله على أنه الاستثناء الوحيد لثقافة التسامح .. تُنسب بشكل اختزالي إلى اختلال التوازن النفسي الشخصي»<sup>(7)</sup>. وحرص الخليفة الفاطمي الأمر بتوصية الولاة بالعدل، ومن ذلك وصيته لولاته: «اجر على العادة المألوفة في إفاضة العدل والإنصاف وتنكب سبيل الجور والإجحاف»<sup>(8)</sup>. بشكل يؤكد أن «سياسة التسامح الفاطمية تجاه المجتمعات الدينيّة والعرقية الأخرى كانت معروفة جيداً ومن الصعب العثور عليها في أي سلالة إسلامية أخرى في العصر الوسيط»<sup>(9)</sup>. ويُذكر أن الخليفة الظاهر، كان بعيداً عن الاشتغال بشئون الدولة ..

(1) Marina Rustow: «Fatimid State Documents», P. 12

(2) عماد صالح محمد: حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1436هـ/2014م)، ص 22.

(3) محمد بن حيون (ت363هـ): المجالس والمسائرات، تحقيق: محمد اليعلاوي - الحبيب الفقي - إبراهيم شيوخ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1398هـ/1978م، ص 137.

(4) المقرئ: اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشّيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (1967م - 1973م)، ج 1 ص 106.

(5) المقرئ: المصدر نفسه، ج 2 ص 105.

(6) القلقشندي: صُحُح الأعشى في صناعة الإنشا، 1-14، دار الكتب المصرية، القاهرة، (1912 - 1938م)، ج 10 ص 393 - 394.

(7) Jennifer Pruitt: "Method in Madness: Reconsidering Church Destructions in the Fatimid Era", (Muqarnas, An Annual on the Visual Cultures of the Islamic World, Celebrating Thirty Years of Muqarnas, Editor: GülruNecipoglu, Managing Editor: Karen A. Leal, Vol. 30, BRILL, LEDIN, BOSTON, 2013), P.119

(8) القلقشندي: المصدر نفسه، ج 8 ص 244.

(9) Mehmet Ali Buyukkara: «Fatimid Imams and the people of the book (Ahl al-Kitab)», (HamdardIslamicus, Quarterly Journal of Studies and Research in Islam, Vol. 25, NO. 2, 2002), P. 7-51.

حتى أذن للنصارى واليهود الذين تظاهروا بالإسلام في خلافة والده بالارتداد إلى دينهم رغم مخالفة ذلك للشريعة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

لقد «سُي الحاكم قاضيًا لأنه يمضي الأحكام ويحكمها»<sup>(2)</sup>؛ ولذلك نجد للخلفاء الفاطميين تاريخًا مهمًا وملحوظًا بالمصادر التاريخية عن النظر في الشكاوى والألتيمات بشكل عام؛ منذ أن قَدّم مصر القائد أبو الحسين جوهر الصّقلبي بجيوش المعز لدين الله أبي تميم معدّ، كان يجلس للنظر في المظالم ويوقع على رقع المتظلمين. ودونما شك فقد «استفاد الحاكم من شكاوى الرعايا؛ لأنهم سمحوا له بمراقبة المسؤولين من المستوى المتوسط، ليس من خلال العقوبات التعسفية على ما يبدو، ولكن من خلال الظهور بمظهر العدالة أكثر إقناعًا لأنه طُلب منه ممن هم دونه»<sup>(3)</sup> الطبقة السفلى من الشعب.

وَبَلَغَ اهتمام الخلفاء الفاطميين بمثل هذه الشكاوى والألتيمات أن ينزلوا بأنفسهم إلى المناطق المختلفة، لمعرفة أحوال الرعية، وما تعج به من مشكلات وقضايا؛ للوقوف على عنصر الفساد والفضي داخل الدولة؛ فكان الخليفة الفاطمي «العزیز بالله» (365-386هـ/975-996م) – والذي يعد أعظم خلفاء السلالة الفاطمية، العزیز بالله. 1992<sup>(4)</sup> - فكان يأخذ الرقع المكتوب فيها الشكاوى من المتظلمين بيده في الطريق؛ قارئًا بعضها أثناء سيره في الطريق، وكان دائمًا يعمل على حل مشاكل الناس والقضاء على متاعيمهم وشكواهم.

إن الحكم الذاتي الواسع الذي حظيت به الأقليات في مصر خلال العصر الفاطمي؛ نتيجة حصولهم على هذا الدعم من الحكام الفاطميين؛ شجع على نمو النظم اليهودية الخاصة بهم<sup>(5)</sup>. بعد تأسيس دولتهم في مصر، وبعد فترة وجيزة وكجزء من سياستها الخارجية المعادية للعباسيين وبناء عاصمتهم الجديدة في القاهرة<sup>(6)</sup>. حيث اشتهر الخلفاء الفاطميين بحسن معاملتهم لأهل الذمة جميعًا، وتمسكوا بسياسة التسامح معهم؛ فنبغ الكثير منهم في جوانب الحياة المختلفة في مصر الإسلامية في العصر الفاطمي في إدارة شئون البلاد؛ فقلدوا المناصب

(1) ساويرس ابن المقفع، أسقف الأشمونيين: تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية، المعروف ب: سير البيعة المقدسة، نشره: سبي عبد المسيح وعزیز سوريبال عطية وأزول بورمستر وأنطوان خاطر، جمعية الآثار القبطية، القاهرة، (1959 – 1974م)، ق 2 ج 2 ص 135، أبو صالح الأرمي: تاريخ الكنائس والأديرة، إعداد وتعليق: الراهب صمويل السرياني، القاهرة، 1404هـ/1984م، ج 1 ص 60، المقريري: الخطط، ج 1 ص 355، اتعاظ الحنفا، ج 2 ص 176.

(2) محمد أبو فارس: تاريخ القضاء في الإسلام، مكتبة الأقصى، عمان – الأردن، ط 1، 1408هـ/1987م، ص 14.

(3) Marina Rustow: "Petitions from the medieval Egypt", p. 6

(4) Shainooljiwa: «FĀTIMID - BŪYID DIPLOMACY DURING THE REGIN OF AL'AZĪZ BILLĀH: 365-386/975-996», (Journal of Islamic Studies, The Institute Of Islamic Studies, 1992).

(5) Mark R. Cohen: «On the Origins of the Office of Head of the Jews in the Fatimid Empire», (AJS Review, Vol. 4, 1979), P.

الرفيعة في المسائل الماليّة والإداريّة، وعلى وجه الخصوص التّجار اليهود القادمين من الغرب مع الدعوة الفاطمية، فشغلوا المناصب المهمة في النظام المالي<sup>(1)</sup>.

لقد وصف جويتين اليهود بمصر تحت حكم الخلفاء الفاطميين على أنهم «رعايا»<sup>(2)</sup>؛ ولذلك نجد في «جنيزة القاهرة» عددًا من وثائق شكّاوى والتّماسات اليهود التي قُدمت إلى الخلفاء الفاطميين، منهم، أربعة خلفاء، يأتي في مقدمتهم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (386-411هـ/996-1020م)<sup>(3)</sup>. والذي «كان ينظر إليه .. خلال الخمسة عشر عامًا الأولى من حكمه، على أنه ملك للعدالة يشبه المسيح»<sup>(4)</sup>. إذ كان الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله يطوف في الأسواق، ويأخذ الشكاوى بنفسه<sup>(5)</sup>، ويسير بين الناس آخذًا بنفسه ما يقدمونه من وثائق تضم شكاوهم. وقد أصدر الحاكم أوامره للمحيطين به بألا يمنع الناس من الدخول إليه في قصره لتقديم شكاوهم لينظر فيها بنفسه ويعمل على حلها<sup>(6)</sup>. ويذكر ابن الراهب الأنطاكي أن الناس كانوا يدسون للحاكم بأمر الله شكاوهم في الرقاع المختومة التي تحمل بين طياتها عبارات «السب له ولأسلافه والدعاء عليه»<sup>(7)</sup>. وبلغ بهم الأمر أن صنعوا تمثالًا لامرأة من ورق وألبسوها ملابس النساء، ونصبوها في طريق الحاكم، فتقدم الحاكم أثناء موكبه وأخذ الرقعة من يدها<sup>(8)</sup>. كما رفعت الشكاوى أيضًا إلى أخته ست الملك<sup>(9)</sup>.

واستقبل الخليفة الفاطمي «الظاهر لإعزاز دين الله» (411-427هـ/1020-1035م)، شكّاوى «اقتصادية»<sup>(10)</sup>. فقد سبق وأن أمت بمصر في عهده أزمة اقتصادية كبيرة في سنة (415هـ/1024م) اشتد فيها الغلاء وفشا فيها المرض في الناس وكثر فيها الموت. وأدى الوباء إلى نفوق الحيوانات وعز الماء لقصور النيل،

(1) ElinoarBareket: «The head of the Jews (Ra'is Al-Yahud) in Fatimid Egypt: A reevaluation», (Bulletin of the school of oriental and African studies, UNIVERSITY OF LONDON, VOL. 67, NO. 2, 2004), P. 185.

(2) S. D. Goitein: «Petitions to Fatimid Caliphs from the Cairo Geniza», (The Jewish Quarterly Review, Published by: University of Pennsylvania Press, Vol. 45, No. 1, Jul., 1954), p. 32

(3) Letter, Petition (T-S 13J7.29) (996 – 1021 AD /386-411 AH), (Cairo Genizah Collection at Cambridge University).

(4) S. D. Goitein: «Petitions to Fatimid Caliphs from the Cairo Geniza», p. 31

(5) سمير عبدالله سليمان: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، (2006م)، ص33.

(6) المقرئ (ت845هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2 ص28، 29.

(7) يحيى بن سعيد الأنطاكي (ت458هـ): تاريخه، أو صلة كتاب أوتيا، المسمى: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، تحقيق: لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء اليسوعية، بيروت، 1327هـ/1909م، ص82.

(8) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ط3، (1996م)، ج4 ص181.

(9) Petition (T-S Ar.34.197) (996 – 1021 AD / 385 - 411 AH)

Marina Rustow and Anna Bailey.

(<https://docs.google.com/document/d/17WTEcMOgPKSKJw1tOELhRp0E3bshyAfiLJaXxY8JEBk/edit?usp=sharing>).

(10) Letter of complaint (ENANS 18.26) (1030 AD / 420 AH) Moshe Gil: *Palestine During the First Muslim Period (634–1099)*, p. 453-454, Doc. 249

وشاعت الفوضى بسبب ذلك، فكَبَسَ العبيد والدُّعَار القاهرة ومصر ونهبوا الأرياف. فكانت أزمة شديدة أتت على تفاصيلها المُسَبَّحِي فيما وصل إلينا من تاريخه<sup>(1)</sup>.

وقدم اليهود شكاوى والتَّماسات إلى الخليفة الفاطمي «المُستنصر بالله» (427-487هـ/1035-1094م)، منها ما هو: «إداري»<sup>(2)</sup>، و«جنائي»<sup>(3)</sup>، و«ديني»<sup>(4)</sup>. فرغم ما تميزت به الحياة الأقتصاديَّة في صدر خلافة المُستنصر بالله (427-443هـ/1035-1051م) بالرخاء، وهذا ما أكده ناصر خسرو الذي زار مصر بين سنتي (438هـ/1046م): (442هـ/1050م) بقوله: «ولقد رأيت في مصر والقاهرة من ألوان غنى الأغنياء.. والرفاهية التي رأيتها بين المصريين»<sup>(5)</sup>. لكن سرعان ما بدأ الاضطراب الاقتصادي في الظهور خلال السنوات: (444هـ/1052م)<sup>(6)</sup>، و(446هـ/1054م)<sup>(7)</sup>، و(447هـ/1055م)<sup>(8)</sup>، و(448هـ/1056م)<sup>(9)</sup>، بسبب الغلاء في أسعار الخبز والغلل والمواد الغذائية، وكان الغلاء بسبب تلاعب التُّجَّار في الأسعار<sup>(10)</sup>.

ولما كان الخليفة الفاطمي «الأمر بأحكام الله» (495-524هـ/1101-1130) «مهتمًا بجذب السُّكَّان المحليين، بمن فيهم اليهود»<sup>(11)</sup> وَرَدَ إليه، شكاوى «جنائية»<sup>(12)</sup>. وهذه الشكاوى والتَّماسات تختلف عما ظهر عن تلك

(1) المقرئ: الخطط، ج 1 ص 354 – 355، ودرسها في مقال مطول: تباري بيانكي انظر:

Bianquis, Th.,: *Une Crise frumentaire dans L'Egypte fatimide*, JESHO XXIII, (1980), pp. 67 – 101.

أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد، ص 183.

(2) Petition (Halper 354) (1036 AD / 426 AH)

(3) Petition (T-S Ar.42.158) (1036–1094AD/426-486 AH) Petition, Legal document; accounts (T-S Ar.39.470) (1036 AD / 426AH)

Geoffrey Khan: *Arabic Legal and Administrative Documents*. Doc. 75, p. 332 - 333

(4) Petition (T-S Ar.30.278), (MS Heb 18.21) (1040 AD / 430 AH) S. M. Stern: «A Petition to the Fātimid Caliph al-Mustansir Concerning a Conflict within the Jewish Community», pp. 203–222.

Moshe Gil: *Palestine During the First Muslim Period (634–1099)*, (in Hebrew) (n.p., n.d.), vol. 2.

(5) ناصر خسرو: سَفَرُناامة، رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس، نقلها إلى العربية: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1414هـ/1993م، ص 143. عيسى أحمد عيسى: «أسعار المواد الغذائية في مصر خلال العصر الفاطمي»، *المجلة العربية للعلوم الإنسانية*، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، 1421هـ/خريف 2000م، مج18، العدد: 72، ص 54.

(6) المقرئ: إغاثة الأمة بكشف الغمة (أو تاريخ المجاعات في مصر)، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة، 1377هـ/1957م، ص 53 - 54.

(7) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (1981م)، ص 13.

(8) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1358هـ/1939م، ج 8 ص 173.

(9) المقرئ: اتعاظ الحنفا، ج 2 ص 224.

(10) عيسى أحمد عيسى: «أسعار المواد الغذائية في مصر خلال العصر الفاطمي»، ص 54.

(11) S. D. Goitein: «Petitions to Fatimid Caliphs from the Cairo Geniza», p. 31

(12) Petition (T-S Ar.30.273) Geoffrey Khan: *Arabic Legal and Administrative Documents*. Doc. 77, p. 334 - 335

S. M. Stern: «Three Petitions of the Fātimid Period», p. 179

الأخرى التي وجدت خلال العهود المختلفة للخلفاء الفاطميين، وهي كثيرة جدًا، هذا فضلًا عن إحدى الشكاوى، التي تم الوقوف عليها ولكن دونما تحديد للخليفة الموجه إليه<sup>(1)</sup>.

لقد كان يُنظر إلى الخليفة (الإمام) في الدولة الفاطمية دون أي التباس على أنه مُمَثِّلُ الله على الأرض، وبأنه المُفَسِّرُ الأوَّلُ للشرع ومصدر كل العلم. وحرص كبار رجال الدعوة على تأكيد هذا المعنى والإشارة إلى أن الإمام هو «ولي الله» الشافع لهم جميعًا، وهذا يظهر فيما أورده داعي الدعوة المؤيد في الدين الشيرازي، واصفاً أول لقاء له بالإمام المُسْتَنْصِرُ بالله. كما تلقب الفاطميون في سجلاتهم - وعلى نقودهم - بـ «الإمام» وبـ «أمير المؤمنين»، ولم يتلقبوا في الوثائق الرسمية بالخليفة؛ حرصًا منهم على إظهار صفتهم الروحية وسطلتهم الدينيَّة<sup>(2)</sup>. وكذلك في مادة الشكاوى والألتِماسات التي قُدِّمَتْ إليهم بشكل رسمي في «وثائق جَنِيْرَةَ الْقَاهِرَةِ»، منها: «إلتِماس مُوجَّهٌ إلى الخليفة المُسْتَنْصِرُ بالله الفاطمي» جاء في صدرها: «بسم الله الرحمن الرحيم صلوات الله وبركاته ونوامي زكاواته أفضل تحياته على مولانا وسيدنا الإمام المُسْتَنْصِرُ بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين» وهذه الوثيقة مكتوبة بشكل رسمي من خلال ديوان الإنشاء والمكاتبات<sup>(3)</sup>.

(1) Petition (T-S NS 320.45) (6th century) S. D. Goitein: «New Sources on the Palestinian Gaonate», (New York: Columbia University Press, 1974), pp. 37 – 503

Moshe Gil: *Palestine During the First Muslim Period (634–1099)* (in Hebrew) (n.p., n.d.), vol. 2. P. 315.

(2) ويظهر ذلك في الوثائق التي جمعها جمال الدين الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية: وثائق الخلافة، وولاية العهد والوزارة. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1422هـ/2002م. وكذلك الوثائق التي نشرها صمويل شيترن:

S. M. Stern.: *Fatimid Decrees*, London, (1964).

(3) Petition (T-S Ar.42.158) (1036–1094AD/426-486 AH) Petition, Legal document; accounts (T-S Ar.39.470) (1036 AD / 426AH)

Geoffrey Khan: *Arabic Legal and Administrative Documents*. Doc. 75, p. 332 - 333

أولاً: شكوى بشأن الضرائب: يُعْتَبَر موضوع «الضرائب»، من الموضوعات الْحَيَوِيَّة في شُؤُون الحياة الإِفْتِصَادِيَّة، وقد تعلق بها العديد من الشكاوى والالتماسات لليهود بمصر في العَصْر الفاطمي، من خلال وثائق نَفِيَسَة ونادرة من جَنِيْزَة القَاهِرَة؛ أتى على رأسها الشكوى من زيادتها؛ فيما يَتَبَيَّن من «شكوى Complaint»، زيادة الضرائب عام (1030/هـ/420م)، رُفِعَتْ إلى الخليفة الفاطمي الظاهر<sup>(1)</sup> لإعزاز دين الله (411-427هـ/1020-1035م) في وزارة علي بن أحمد الجرجرائي (12 ذو الحجة 418هـ-427هـ)<sup>(2)</sup>؛ بخصوص الضريبة التي يتوجب على اليهود دفعها، ويشكون من نيّة زيادة الضرائب عليهم. المتحدّث من اليهود هو اليهودي «سباع بن فرج Sibah b. Faraj»، ونصه<sup>(3)</sup>:

«وَلَيَصِلُنَا الشُّكْوَى فِيمَا نَفَعْنَا مَعَهُ. وَوَرَدَ السِّجْلِ الْمَكْرَمِ مِنَ الْحَضْرَةِ الْمَجِيدَةِ يَذْكُرُ فِيهِ مَا أَنْهَاهُ سِبَاعُ بْنُ فَرَجِ الْيَهُودِيِّ مِنْ حَالِ الْيَهُودِ الدِّمَّةِ وَأَنَّ فِيهِمْ مَنْ يُؤَدِّي عَنْ جِزْيَتِهِ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ رِسْمٍ ثَابِتٍ وَفِيهِمْ مَنْ يُؤَدِّي عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ وَأَنَّ فِيهِمْ مَنْ يَدَّعِي الْخَيْرِيَّةَ فَكَانَ هَذَا السَّبَبَ إِلَى طَمَعِهِ فِينَا وَتَقْوِيَّةَ يَدِهِ فِي ظُلْمِنَا وَمَطَالِبَتِنَا بِالْأَدَاءِ عَلَى الْإِحْصَاءِ بِأَوْفَرِ جِزْيَةٍ وَفِي أَيْدِينَا بَرَاءَاتٍ مُنْذُ سِتِّينَ عِدَّةً دَالَّةً عَلَى مَا يُؤَدِّيهِ كُلُّ مَنْأ.»

(1) جدير بالذكر ما شهدته البلاد في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر بالرغم من قصر مدة خلافته (411-427هـ/1020-1035م) فإن البلاد شهدت في عهده مجاعات مخيفة خصوصاً وأن شخصية الظاهر كانت ضعيفة ويسيطر عليه رجال الدولة مما أدى إلى تضخم دور رجال الدولة، ومارسوا تجارة الغلال وتمادوا في الاحتكار والتحكم في أسعار البيع. (أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية: أسباب ونتائج، دار التضامن، ط1، 1409هـ/1988م، ص 41 – 42). وكانت معدلات النيل وتنازج بين الانخفاض والارتفاع وفي سنة (422هـ/1030م) كان الأكثر نقصاً ومما أدى إلى ارتفاع الأسعار. وحدثت في سنة (426هـ/1034م) مجاعة كانت بسبب تكاثر الفئران حيث أكلت الزرع وانتشر الوباء بين السكان تبعاً لذلك. (المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2 ص 180، 182).

(2) وهو مستمر إلى خلافة المستنصر (حتى 6 رمضان 436هـ).

(3) Letter of complaint (ENANS 18.26) (1030 AD / 420 AH) Moshe Gil: *Palestine During the First Muslim Period (634–1099)* (in Hebrew) (n.p., n.d.), vol. 2, p. 453-454, Doc. 249

وتُورَّح هذه الوثيقة فيما تضمنته من شكوى تخص تحصيل الضرائب، لسياسية الدولة الفاطمية مع أهل الدِّمَّة عامة والمُهود خاصة؛ فيما يتعلق بفرض الضرائب ونيَّة زيادتها؛ فقد رُفعت هذه الشكوى نتيجة احتمال زيادة الضرائب على المُهود، ويلتمسون من الخليفة أن يُبقي على ما كانوا يدفعونه من ضريبة. جدير بالذكر ما شهدته البلاد في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر بالرغم من قصر مدة خلافته (411-427هـ/1020-1035م) فإن البلاد شهدت في عهده مجاعات مخيفة خصوصاً وأن شخصية الظاهر كانت ضعيفة ويسيطر عليه رجال الدولة مما أدى إلى تضخم دور رجال الدولة، ومارسوا تجارة الغلال وتمادوا في الاحتكار والتحكم في أسعار البيع<sup>(1)</sup>. وكانت معدلات النيل تتأرجح بين الانخفاض والارتفاع وفي سنة (422هـ/1030م) كان الأكثر نقصاً ومما أدى إلى ارتفاع الأسعار<sup>(2)</sup>. وحدثت في سنة (426هـ/1034م) مجاعة كانت بسبب تكاثر الفئران حيث أكلت الزرع وانتشر الوباء بين السُّكَّان تبعاً لذلك<sup>(3)</sup>. وتُبرز هذه الشكوى عدَّة مسائل مهمة، منها:-

أولاً: وجود سجِّل للضرائب التي يدفعها أهل الدِّمَّة من المُهود، معتمد من الحكومة الإسلامية؛ تُحدد فيه قيمة ما يدفعونه إلى الدولة الفاطمية بمصر. وكان هذا السجل مُرتب -على ما نعتقد- بأسماء الأفراد، وأمام كل اسم القيمة التي يدفعها؛ فيما يتبيَّن من نص الشكوى، التي تذكر أنه «وَوَرَدَ السِّجِّلُ الْمُكْرَمُ مِنَ الْحَضْرَةِ الْمَجِيدَةِ يَذْكُرُ فِيهِ مَا أَنْهَاهُ سِبَاعُ بْنُ فَرَجِ الْمُودِيِّ مِنْ حَالِ الْمُهودِ الدِّمَّةِ».

ثانياً: اختلاف قيمة هذه الضرائب من شخص لآخر؛ فيما يتضح من نص الشكوى، التي تذكر: «أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يُودِّي عَنْ جِزْيَتِهِ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ بِرِسْمٍ ثَابِتٍ وَفِيهِمْ مَنْ يُودِّي عَشْرَةَ دَرَاهِمٍ». ولكن لا تفصح الشكوى عن أسباب هذا الاختلاف في تقدير قيمة هذه الضرائب، ويحتمل أن الاعتراض بالشكوى قام على هذا الأساس، فهذه تقديرات بها ظلم لبعض الأفراد المُهود على حساب الآخر، وكل ذلك يقوم على أساس ما يسجله القائم على هذا العمل. وقد تزم منه بعض أفراد هذه الطائفة نتيجة ما قام به من ظلم لهم في التقدير.

ثالثاً: وظيفة جابي الضرائب من أهل الدِّمَّة؛ يتولاها موظفٌ أو مسؤول من الطائفة اليهودية، ويُعينه الخليفة الفاطمي؛ ليقوم ببحث حالة الأفراد وحساب تقديرات هذه الضريبة، وله سجِّل يحصي فيه أفراد المُهود. وقد يؤدي طمعه إلى زيادة قيمة هذه الضريبة على الأفراد.

(1) أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية، ص 41 - 42.

(2) المقرئبي: اعطاء الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 2 ص 180.

(3) المصدر نفسه، ج 2 ص 182.

رابعاً: براءات دفع الضريبة أو الجزية، والتي كانت بمثابة مخالصة<sup>(1)</sup> بقيمة ما يدفعه الفرد من اليهود للجزية، وعلى ما يتضح من نص الشكوى، أن كل فرد كان يحتفظ بهذه البراءات؛ حيث أنهم يطلبون من جابي الضرائب فيما حدد من زيادات عليهم، أن يراجع ما بأيديهم من براءات لسنين عدة، دالة على ما كانوا يؤدونه من جزية؛ فيذكرون في الشكوى: «وفي أيدينا براءات مُنذ سنين عدة دالة على ما يؤديه كلُّ منَّا».

ثانياً: شكوى إغلاق الكنيس الفلسطيني في الفسطاط:

هذه شكوى قُدمت إلى الخليفة الفاطمي المُستنصر بالله (427-487 هـ/1035-1094م)؛ كُتبت بخط يد «إفرايم بن شمريال Ephraim b. Šemaryal»، يشكو فيه من إغلاق الكنيس الفلسطيني في الفسطاط، في عام (425 هـ/1035م)، ويذكر أن «نathan بن إبراهيم Nathan b. Abraham»، الذي «وصل من الغرب؛ مُدعيًا منصب رئيس أكاديميتنا، والذي كان رئيسًا لهذه الأكاديمية منذ 16 عامًا»؛ حيث يتعلق الوضع بالخلاف على القيادة بين «سليمان بن يهودا» و«نathan بن إبراهيم»، على قيادة الأكاديمية الفلسطينية. ويبدو أن المُصلين في الكنيس الفلسطيني المغلق كانوا مواليين إلى «سليمان بن جوده Solomon b. Judah»، و«نathan بن إبراهيم»، الذي استخدم اتصالاته في الحكومة الإسلامية لإغلاق الكنيس، وقد وجاءت نص الشكوى، كالتالي<sup>(2)</sup>:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلْعَبِيدُ يَنْهَوْنَ إِلَى الْمَقَامِ الشَّرِيفِ زَادَ اللَّهُ شُرْفَتَهُ الْجَلِيلَةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا جَرَى عَلَى رِيسِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ مِنْذَ سَنَتَيْنِ مَا كَانَ فِيهِ فَسَادٌ حَالَهُمْ الَّتِي تَصَدَّقَتْ أَلْحَضْرَةَ الطَّاهِرَةَ خَلَدَ اللَّهُ مُلْكَهَا يُفْسِدُونَ مُعْظَمَ .. لِذُهُبِهِمْ فَلَمْ يَزَلُوا فَلَمَّا كَانَ قَصْدُهُ عَلَيْهِمُ الْأَذْيَةَ إِلَى أَنْ تَوَصَّلَ رَجُلٌ مِنَ الْغَرْبِ يُدْعَى نَاطَانَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ؛ ادْعَاءَ مَوْضِعِ رَأْسِ مَثِيبَةِ الْقُدُسِ الَّذِي عَلَى هَذِهِ الْمَثِيبَةِ سِتَّةَ عَشْرَ سَنَةً وَقَاوَمَهُ تَارَةً وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ لِمَلِيهِ الرِّيَاسَةَ ... وَأَحْضَرُوا لَآلَةَ الْبِلَادِ وَجَاءَ مِنْذُ شَهْرٍ إِلَى مِصْرٍ وَتَطَارَحَ إِلَى خِصْمِ جَمَاعَتِنَا الْقُرَائِينَ وَجَعَلَ .. عِنْدَهُ مِنْ أَقْرِبَائِهِ، وَأَصْهَارِهِ مِنْ الْعَرِاقِيِّينَ يَبْدُلُ الدَّرَاهِمَ الْكَثِيرَةَ لِكَنِيستِهِمْ .. بَعْلَقَ كَنِيستَةَ الْعَبِيدِ الْيَوْمَ شَهْرَيْنِ الَّذِي كَانُوا يُصَلُّونَ فِيهَا وَيَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ وَدَرَسَ .. الرَّيسَ سَلَامَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ فَلَمَّا أَلْحَقُوا حَالَهُمْ إِلَى الْمَوْقِفِ الشَّرِيفِ .. بِهِمْ إِلَى عَبْدِ مَوْلَانَا دَاوُدَ بْنِ إِسْحَاقَ وَلَمْ يَفْعَلْ فِي ذَلِكَ شَيْءَ لِأَجْلِ رِيسِهِمْ سَنَدَ الدَّوْلَةِ سَيِّفِ الْمَرْتَبَةِ .. فِي سَفَرِهِ وَأَخَافَ الْعَبِيدُ مِنْ .. السَّيِّدِ حَالَ الْعَبِيدِ أَنْ .. إِلَى التَّصَدُّقِ عَلَيْهِمْ بِخُرُوجِ الْأَمْرِ الْعَالِي إِلَى أَحَدِ عَبِيدِ الدَّوْلَةِ الْمُسْلِمِينَ بِفَتْحِ كَنِيستِهِمْ وَإِجْرَائِهِمْ عَلَى قَانُونِ سُنَنِ مَذْهَبِهِمْ وَحُقُوقِهِمْ وَمَوْلَانَا صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، عَالِي الرَّأْيِ».

(1) «إن أقدم الوثائق الفاطمية التي نجت هي الإيصالات الضريبية من المدن، وهناك القليل، إن وجد، من القاهرة».

Marina Rustow: «Fatimid State Documents», P. 13

(2) Legal document; petition (Or.1080 J7) (1040 AD / 430AH). Geoffrey Khan: Arabic Legal and Administrative Documents. Doc. 73, p. 326 – 327, Moshe Gil: Palestine During the First Muslim Period (634–1099) (in Hebrew) (n.p., n.d.), vol. 2. P. 196.

[ حَاشِيَةٌ عَلَى يَمِينِ الْوَثِيقَةِ ] «أَنْ يُمْنَعَ نَاثَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ غَلْقِ كَنِيسَتِهِمْ وَفَسَادِ مِمَّا تَخَلَّى»

[ حَاشِيَةٌ عَلَى يَسَارِ الْوَثِيقَةِ ] «غَلْقُ الْكِنَائِسِ إِلَى .. وَأَنْ يَتَعَرَّضَ الْعَبِيدُ فِيمَا يَفْعَلُونَ وَبَعْدَ ذَلِكَ .. فِي

كَنِيسَتِهِمْ وَيَمْنَعُونَهُمْ مِنْ سُنَنِ سُوْمِهِمْ فَلِيَتِمَّ عِنْدَهُمُ الْحُقُوقُ وَيَأْمُرُ الْأَمِيرُ مُنْجَزَ الدَّوْلَةِ ..».

رغم «تعايش الطوائف اليهودية سلمياً في العصر الفاطمي»<sup>(1)</sup> أبرزت هذه الشكوى العديد من المسائل المهمة، والتي تزيد من قيمتها، لما اتصلت بإيضاح جوانب تخص الحياة الدينية لليهود بمصر خلال العصر الفاطمي، منها:-

أولاً: معابد اليهود بمصر، وما تعلق بها من مسائل تخص إغلاقها وفتحها ورياستها، فيما يتضح من شكوى إغلاق الكنيس الفلسطيني في الفسطاط. كما أن تاريخ الشكوى يؤكد استمرار اليهود لممارسة شعائرهم بهذه المعابد. هذا فضلاً عن الفترة التي أغلق فيها هذا الكنيس، والتي امتدت لنحو شهرين، ولم يستطع اليهود الاستمرار بدون فتحه وتأدية الشعائر الدينية فيه؛ إذ "كانوا يصلون فيها ويقرأون التوراة". وهو ما يبين ممارسة اليهود لهذه الشعائر بشكل مستمر ودائم، دونما حدوث أية عوائق أو مشكلات سابقة، حتى وقعت هذه الحادثة من أحد أفراد الطائفة نفسها.

ثانياً: كما تشير الشكوى إلى مسألة تولي رئاسة الكنيس الفلسطيني بالفسطاط، والتي وقّع بسببها الخلاف بين أفراد طائفة الربانيين، والتي كان من الممكن أن يتولاها أحد أفراد الطائفة القادمين من خارج مصر.

ثالثاً: وتبرز الشكوى قضية الرشوة والبدل؛ فيما يتبين من فعل «ناثان بن إبراهيم Nathan b. Abraham» الذي أخذ "ببذل الدراهم الكثيرة لكنيستهم بغلق كنيسة العبيد" فظلت مغلقة نحو شهرين، وكان هذا الغلق سبباً مهماً لتقديم التماس بفتحها.

رابعاً: تُفيد الشكوى ما كان يتمتع به اليهود من حرية كبيرة في ممارسة شعائرهم، فيما يتجلى من النص والتماس "التصدق عليهم بخروج الأمر العالي إلى أحد عبيد الدولة المسلمين بفتح كنيستهم وإجرائهم على قانون سنن مذهبهم وحقوقهم".

«لقد شكّل الحديث عن المعابد اليهودية، وإنشائها في مصر أهمية بالغة للباحث في تاريخ الطائفة اليهودية في مصر، وفكرها الديني والديني في نفس الوقت؛ وذلك باعتبار أن تلك المعابد، وما يتم فيها من ممارسات أو طقوس دينية، يُلقى كثيراً من الضوء على نظم الحياة اليهودية دينية ودينية في كل فترة من فترات تاريخهم على أرض مصر من ناحية، كما يوضح أيضاً مدى علاقاتهم بالمواطنين الذين يشاركونهم الحياة على أرض مصر

(1) ألفريد مورابيا: «يهود مصر في ظل الإسلام: من الفتح العربي إلى حملة بونابرت»، بحث منشور ضمن كتاب: (تاريخ يهود النيل)، تحرير: جاك جاسون، ترجمة: يوسف درويش، دار الشروق، القاهرة، 1428هـ/2007م، ص 64.

سواء أكانوا مُسلمين أم مسيحيين، هذا بالإضافة إلى توضيح علاقة اليهود ببعضهم البعض، وما حَدَثَ بينهم من إنقِسامات<sup>(1)</sup>، كما ستُضح مَعاملُهُ فيما بعد في بعض الشكاوى والالتِماسات.

بَرَعَ نتيجة لهذه الشكاوى السابقة؛ «الْتِماس Petition»، (مُؤرَّخ في 430هـ/1040م)، مُوجَّهٌ إلى الخليفة الفاطمي المُستنصر بالله (427-487 هـ/1035-1094م)؛ يَشكو فيه فصيل من اليهود (الربانيين) من سوء معاملتهم على يدِ فصيل آخر من اليهود (القرائين)، ونصه<sup>(2)</sup>:

«عبيد مولاي جماعات الذميين اليهود الربانيين سُم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَنَوَامِي زَكَوَاتِهِ، وَ أَفْضَلَ تَحِيَّاتِهِ، عَلَى مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الْإِمَامَ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ، الْأَنْبِيَاءِ الْمُهَيَّبِينَ صَلَاةً بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ كَانَ عَبِيدُ مَوْلَانَا الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا وَقَعَ الْخِلَافَ بَيْنَهُمْ بِسَبَبِ رِيَاسَتَيْنِ لَهُمْ وَرَامَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ التَّغَلُّبَ عَلَى تَقَدُّمَةِ رِيَاسَتِهِمْ دُونَ الْآخَرِ وَالْإِزَامِ الطَّائِفَةِ الْآخَرَى قَبُولَ ذَلِكَ وَالِدُخُولِ بِمَا لَا يَتَّسِعُ لَهُمْ فِي أَدْيَانِهِمْ رَفَعُوا إِلَى الْحَضْرَةِ الْمَجِيدَةِ خَلَدَ اللَّهُ مَلِكَهَا وَآتَهُ وَبِي ذَلِكَ فَخَرَجَ الْأَمْرُ الْعَالِي زَادَهُ اللَّهُ نَفَاداً إِلَى دَاوُدَ بْنِ إِسْحَقَ بِتَسْديدِ أَمْرِ الْكَافَّةِ فَلَمْ يَفْعَلْ دَاوُدُ بْنُ إِسْحَقَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ وَأَغْفَلَ الْأَمْرَ وَتَطَاوَلَتِ الْأُمُورُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْآنِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمْ كَنِيْسَهُمْ وَبَقُوا مُشْتَتَتِينَ فِي أُمُورِهِمْ فَمَضَى فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ قَوْمٌ مِنْهُمْ تَعَزُّزاً عَلَى بَعْضِهِمْ وَفَتَحُوا الْكَنِيْسَةَ لِنَفُوسِهِمْ وَلَمَنْ أَثَرُوا تَقَدِّمَتَهُ وَقَهَرُوا الْعَبِيدَ بِالرِّجَالَةِ وَالزُّمُومَا مَا لَا يَجُوزُ لَهُمْ فِي أَدْيَانِهِمْ وَهَدَّوْا بِالْحَبْسِ وَكُلِّ أَمْرٍ عَظِيمٍ وَالْعَبِيدَ يَضْرَعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى الْحَضْرَةِ الْمَجِيدَةِ خَلَدَ اللَّهُ مَلِكَهَا بِخُرُوجِ الْأَمْرِ الْعَالِي لَا زَالَ غَالِباً بِالتَّسَاوِي بَيْنَهُمْ وَتَمَكِّيْنَهُمْ مِنْ أَدْيَانِهِمْ كَمَا تَمَكَّنَ غَيْرُهُمْ، وَكَفُّ الْأَذْيَةِ».

أولاً: قَدِمَ هذا الْتِمَاسُ، إلى الخليفة الفاطمي المُستنصر بالله، من إحدى الطوائف اليهودية بمصر، وهم اليهود الربانيين، وتم التقدُّم به من خلال الجهة المُختَصِّبة باستقبال مظالم وشكاوى الطوائف والأفراد عموماً: المُسلمين، وأهل الذمَّة، وقد حُرِرَ الْتِمَاسُ من خلال ديوان الإنشاء؛ فيما يبدو من طريقة كتابته وأدائها، وقد

(1) عبد الرازق أحمد قنديل: «المعابد اليهودية في مصر»، (مجلة رسالة المشرق، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، 1995م، مج 3-4، العدد: 1-2)، ص 311، وما بعدها. ومن الدراسات الخاصة التي تناولت معابد اليهود بالقاهرة من النواحي التاريخية والأثرية، دراسات أحمد زكريا زكي: «معبد رابي سمحاه بحارة اليهود القرائين بالقاهرة: بحث في تاريخه القديم»، (مجلة رسالة المشرق، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، 1442هـ/2020م، مج 35، العدد: 4)، ص 327 - 412. وله أيضاً: «كنيس المصريين "الأستاذ" بحارة اليهود بالقاهرة: دراسة تاريخية معمارية»، (مجلة رسالة المشرق، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، ربيع 1443هـ/2021م، مج 36، العدد: 2)، ص 101 - 137.

(2) Petition (T-S Ar.30.278), (MS Heb 18.21) (1040 AD / 430 AH)

S. M. Stern: «A Petition to the Fātimid Caliph al-Mustanşir Concerning a Conflict within the Jewish Community», pp. 203-222.

Moshe Gil: Palestine During the First Muslim Period (634-1099), (in Hebrew) (n.p., n.d.), vol. 2.

سبق دراسة هذه الجوانب في فصل مستقل بهذا الشأن، بينما هنا يهتم مناقشة نص الإلتماس وموضوعه؛ حيث يتناول أوضاع إحدى طوائف اليهود بمصر خلال العصر الفاطمي، والنزاعات الحادثة بينهم «فعلى الرغم من الطبيعة العابرة للطوائف لمكتب رئيس اليهود، لم يتم ضمان حماية المجتمع القرائي لحريته الدينية داخل المجتمع اليهودي. أخذت الحكومة الفاطمية على عاتقها حماية الحقوق الدينية للقراء عندما هددت من قبل المؤسسات اليهودية الحاخامية»<sup>(1)</sup>.

ثانياً: ويبيّن الإلتماس، وجود إنقسامٍ حادث بين فريقين داخل طائفة اليهود حول تولية رئيس لهم داخل كنيسهم؛ فانقسموا إلى فريقين، ولكل فريق رئيس، «وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ بِسَبَبِ رِيَاةِ رِيَاةٍ لَهُمْ وَرَامَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ التَّغْلِبَ عَلَى تَقَدُّمَةِ رِيَاةِ رِيَاةٍ دُونَ الْآخَرِ وَالزَّامِ الطَّائِفَةَ الْآخَرَى قَبُولَ ذَلِكَ وَالدُّخُولَ بِمَا لَا يَتَّسِعُ لَهُمْ فِي أَدْيَانِهِمْ»؛ مما دفع نفرٌ منهم إلى أن يرفعوا شكواهم هذه إلى الخليفة الفاطمي المُسْتَنْصِرُ بالله، والذي نظر بالبت فيها، «فَخَرَجَ الْأَمْرُ الْعَالِي زَادَهُ اللَّهُ نَفَادًا إِلَى دَاوُدَ بْنِ إِسْحَاقَ بِتَسْديدِ أَمْرِ الْكُفَّاءِ» - دونما ان يُشر الإلتماس إلى تفصيله - ولكنه على ما يبدو أنه ساهم في حل هذا النزاع، إلا أن "داود" أغفل الأمر؛ حتى أغلق الكنيس، وشتتوا، فاتجه فريق منهم إلى فتح الكنيس لأنفسهم للتعبد، دون الآخر؛ مما أغضب جماعة منهم، نتيجة قيامهم بذلك دونهم، ولذلك قدم هذا الإلتماس لأجل: "التساوي بينهم وتمكينهم من أديانهم كما تمكن غيرهم، وَكَفُّ الْأَذْيَةِ".

«في الواقع، كان رجال البلاط القرائيين في القاهرة لا غنى عنهم للمجتمع اليهودي بأكمله، وغالبًا ما كانوا يدعمون سُطْطَةَ الأكاديميات الحاخامية»<sup>(2)</sup>. كما «كان اليهود القراءون يهتمون أشد الاهتمام باحترام معنى النص التوراتي»<sup>(3)</sup>، وكانوا يحاولون الحفاظ على العادات القديمة، ولكنهم تأثروا أكثر من الرنانيين بالبيئة الإسلامية المحيطة بهم»<sup>(4)</sup>.

(1) «.. كما تدخلت السلطات السياسية الفاطمية في القدس، وكذلك مسؤولون في محكمة الخليفة لحماية الحقوق الدينية للقرائين في مواجهة منع اليهود الحاخامين من القرائين من الصلاة على جبل الزيتون في بعض الأعياد اليهودية».

Jacob Chereskin: «Heretics of the Dhimmi: Sectarianism, Karaite Jews and the Fatimid Caliphate», P.3

(2) Fred Astren: Review of Marina Rustow, Heresy and the Politics of Community: The Jews of the Fatimid Caliphate, (Cornell University Press, 2008) in The American Historical Review 115:3 (June, 2010), P. 920.

(3) اهتم جويتين ببحث مسألة أهمية الدين عند اليهود ودوره وأثره في الحياة اليومية عندهم. راجع في هذا الشأن:

S.D. Goitein: "Religion in Everyday Life as Reflected in the Documents of the Cairo Geniza", (S.D. Goitein, ed., Religion in a Religious Age, Cambridge, MA Association for Jewish Studies, 1974), pp. 3-17

(4) ألفريد مورابيا: "يهود مصر في ظل الإسلام: منذ الفتح العربي"، ص 67.

ولقد «خدم كنييس الفُسطاط الجالية الفلسطينية اليهودية في القاهرة في العصور الوُسطى؛ المعابد الأخرى التي كانت للطوائف البابلية والقرائين. حيث كانت الفُسطاط نشطة من القرن الثالث الهجري/ الثامن الميلادي حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، عندما كانت القاهرة، في ظل حُكم الخِلافة الفاطمية، مركزاً ثقافياً وتجارياً للعالمين الإسلامي والمُهودي. وكان هذا العصر الذهبي لليهودية القرائية، وهي حركة لا يعترف أعضاؤها إلا بالكتاب المُقدّس كسلطتهم القانونية واللاهوتية»<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: يؤكد هذا الإلتِماس النَّادر على وجود إنشِقاق في صُفوف الطائفة اليهودية الواحدة بمصر خلال العُصر الفاطمي، ويتضح أن مثل هذه المشكلات تصاعدت، وتفاقمَت بمكان لا يمكن السيطرة عليه إلا من خلال السُّلطات الإسلاميّة وتدخل الخليفة الفاطمي لوضع حدًا لها؛ حيث لم يشر الإلتِماس إلى طبيعة القرار الذي أصدره الخليفة الفاطمي المُستنصر بالله، مما يدل على أنه طلب وقف هذه الخِلافات فيما بينهم، من خلال وسيط منهم هو "داؤد بن إسحق"، الذي يحتمل أنه فُشل أيضًا في وقف ذلك، فانصرف عن التعرض له مرة ثانية.

ولقد تضمن هذا الإلتِماس النفيس العديد من الجوانب والمسائل المهمة، التي يمكن الخروج بها في ضوء فحصه وتحليله، والذي كُتِبَ في نحو (19) تسعة عشر سطرًا، ومنها:  
أولاً: حقوق أهل الذِّمة بمصر خلال العُصر الفاطمي عمومًا، باعتبارهم من رعايا الدَّولة الفاطمية، وقد وصف المتقدم بالإلتِماس طائفته، بأنهم: "عبيدٌ مولاي جماعات الذِّميين"، وهذا في حد ذاته التماسًا ضمنيًا وتأكيدًا مهمًا على أنهم أهل ذمة يحق لهم اللجوء إلى الحاكم لتحقيق العدل فيهم، وحل الخِلافات والمشكلات الحادثة لهم وفيما بينهم، كما يعطي ذلك تأكيدًا فائدة عظيمة على ثقة الطائفة اليهودية في الخليفة الفاطمي، وعدله في الاستجابة لموضوع الشكوى.

ثانيًا: استقبال الخليفة الفاطمي شكَاوى "طائفة اليهود الربانيين"، بوجه خاص، وعلى ما يتضح من عبارة السطر الثاني: "المُهود الربانيين"، أنها إبرازة خاصة بهذه الطائفة، ومن المحتمل أنها الصيغة الخطابية التي اعتادت عليها هذه الطائفة، حينما كانت توجه الخطاب إلى الخليفة الفاطمي؛ فتضع هذه الإبرازة الخاصة، التي تساهم في لفت الانتباه، فضلًا عن توثيق هذه الإبرازة بما قبلها، المتعلقة بكونهم من أهل الذِّمة، وأحد جماعاتهم.

ثالثًا: إفتتاحية الشكَاوى والإلتِماسات اليهودية المقدمة إلى السُّلطات الفاطمية عمومًا، والخليفة الفاطمي خصوصًا، بالبسملة: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، وهو ما لم يعتاد في شكاياتهم والتماساتهم التي كانت تقدم

(1) IlanaSasson: "CJ Reviews: Sacred Trash: The Lost and Found World of the Cairo Geniza, P. 34

إلى زعماء ورؤساء الطائفة اليهودية بمصر خلال العَصْر الفَاطِمِيّ عمومًا، ويمكن ملاحظة ذلك بشكل كبير ودقيق جدًا بمراجعة الشكاوى والالتِماسات السابقة. كما أن هذا الاستفتاح في إبرازة ثانية أيضًا تُبين أدب مُقَدِّم الِإِلْتِمَاس في كتابته، وربما كُتِب الِإِلْتِمَاس بهذا الشكل في ديوان الإنشاء؛ فيما يتضح من العبارات التي وجهها الملتمس؛ في تحية الخليفة الفاطمي: "صَلَوَاتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَنَوَامِي زَكَوَاتِهِ، وَ أَفْضَلَ تَحِيَّاتِهِ، عَلَى مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ، الْأَيْمَةَ الْمُهَيَّبِينَ، صَلَاةً بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ"، والتي اعتبرها تحية طائفة الربانيين اليهودية، للخليفة، فأحسن اختيار الألفاظ والتراكيب، والوصف. رابعًا: دور السُلطات الإسلامية في حل شكايا والتماسات الطوائف اليهودية بمصر خلال العَصْر الفَاطِمِيّ، واستقبالها وفحصها ومتابعتها أيضًا؛ حيث يتبين أن هذا الِإِلْتِمَاس سبقه وجود شكوى تخص النزاع بين فريقين داخل طائفة اليهود الربانيين، ولما لم يُحل، قُدم التماسًا لمراجعة الحلول التي قُدمت لفض هذا الشقاق. خامسًا: كما تتبين مسألة استعانة الخليفة الفاطمي بأحد اليهود أنفسهم للنظر في الشكوى؛ حيث أمر الخليفة الفاطمي المُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ: "دَاوُدُ بْنُ إِسْحَاقَ"، بأن يضع حدًا لذلك ويقوم بتنفيذ أوامره لفض هذا الخلاف، والمرتبط بشكل أصيل بممارسة هذه الطائفة لشعائرهم الدينية داخل الكنيس؛ بما يؤكد على عدم تدخل الخليفة الفاطمي في هذه الأعمال الدينية، وعدم التعرض لحريتهم في ذلك، وترك حل هذه المسألة الداخلية من خلال أحد أفراد هذه الطائفة أنفسهم.

سادسًا: ثقة الطائفة اليهودية في السُلطات الإسلامية في حل شكاياهم المُقَدِّمة إليهم؛ خاصة تلك التي لم يتمكن من حلها أفراد الطائفة نفسها، فيما يتضح من عدم تمكن داوود ابن إسحاق من فعل شيء أمام تعنت بعض أفراد طائفة اليهود الربانيين.

سابعًا: سياسة الخليفة الفاطمي تجاه أفراد الطائفة اليهودية، والتي أكدت عليها نصوص الِإِلْتِمَاس نفسه؛ وهي: المساواة: "التساوي بينهم"، وممارسة شعائرهم: "تَمَكِّيَهُمْ مِنْ أَدْيَانِهِمْ كَمَا تَمَكَّنَ غَيْرُهُمْ"، ومنع وقوع الضرر لأفراد الطائفة اليهودية: "كَفُّ الْأَذْيَةِ". وتعتبر هذه النقاط من المسائل المهمة التي يحملها موضوع الالتماس، لما فيها من فائدة طيبة حول طبيعة سياسة الخليفة الفاطمي تجاه أهل الدِّمَّة عمومًا واليهود خصوصًا، بل هي تفيد في تحديد المقاصد العليا تجاه اليهود التي اتبعت الخليفة الفاطمي في تثبيتها.

جدير بالذكر أنه «بسبب القوة الإقتصادية والسياسية لأفراد المُجْتَمَع القرائي في الخِلافة الفَاطِمِيَّة، تمكن مجتمعهم من تحقيق مستوى فريد من الاستقلال الديني والتكافؤ السياسي مع السُكَّان اليهود الحاخامين. أعطى مكتب رئيس اليهود للقراء اليهود فرصًا كبيرة لتمثيل الطيف الكامل للمجتمع اليهودي الخاضع لسيطرة الفاطميين، مما سمح لهم بتمثيل أنفسهم واليهود الحاخامين».

كما «تمت حماية الممارسات والمؤسّسات الفريدة للقرائين من قبل السُلطات الفاطمية بسبب نفوذهم الاقتصادي والسياسي الكبير نسبياً في الإطار السياسي للخلافة. وميز القرائيون أنفسهم عن المُجتمَع المُهودي الحاخامي من خلال استخدام قوتهم الإقتصاديّة وتأثيرهم المُجتمعي من أجل تعزيز مصالح طائفتهم الخاصة، مما يسمح لهم بالتخفيف من النزاعات الدينيّة الداخلية بمساعدة السُلطات الفاطمية»<sup>(1)</sup>.

وظهر «التمّاس Petition» نفيس ونادر من جنيزة القاهرة، مُقدّم من الجاؤون «شلومو بن يهودا ga'on Shelomo b. Yehuda» إلى الخليفة الفاطمي المُستنصر بالله (al-Mustansirbillā 427-487هـ/1035-1094م)، في بداية عهده، يطلب تنصيب زعيم الطائفة المُهوديّة. كتب بخط يد مُحضر المحكمة «يفيت بن دافيد شيخانيا»، عام (426هـ/1030م)، وسلمت إلى «إفرايم بن شماريا هافر»، رئيس التجمع المقدسي في «الفسطاط»<sup>(2)</sup>.

«بَعْدَ مَا التَّمَسُوا جَمِيعًا وَفَرَادًا أَنْ يَشْهَدُوا هَذِهِ الشَّهَادَةَ، قَالَ كُلُّ مِنْهُمْ مَنْ كَتَبَ شَهَادَتَهُ بِخَطِّهِ فِي آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ الَّذِي عَرَفُوهُ وَعَقَلُوهُ وَيَشْهَدُوا بِهِ فِي مَعْنَى تَقَدُّمِهِ الطَّائِفَةَ (الطَّائِفَةُ) الْمَعْرُوفَةَ بِالْيَهُودِ الرَّبَّانِيِّينَ (الرَّبَّانِيِّينَ) وَوَضَعُوا خَطِّهُمْ (ثَقَّتْهُمْ) فِيهِ؛ أَنَّ جَمِيعَ قَضَايَا أَحْكَامِهِمْ عَلَى تَوَاصُلِ الْأَزْمَنَةِ وَنِكَاحَاتِهِمْ وَطَلَّاقَاتِهِمْ، وَإِرْدَاعِ الْمُفْرِطِ فِي شَيْءٍ مِنْ مُوجِبِ دِينِهِمُ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمَنْعِ (وَالنَّهْيِ) عَنِ الْمُنْكَرِ فِيهِمْ، وَإِبْعَادِ الْجَانِي بِالْحَرَامِ، وَحَلِّهِ مِنَ الْحَرَامِ وَإِفْتَاءِ الْفِتَاوَى، وَدَرَسِ التَّوْبَةِ، وَنَصْبِ الْحَزَانِينَ فِي الْكِنَائِسِ الْمُصَلِّينَ بِهِمْ، وَالذَّبَّاحِينَ (الْجَزَّارِينَ) فِي الْأَسْوَاقِ الْمُتَوَلِّينَ الذَّبِيحَةَ وَعَزَلَ مَنْ يَسْتَحِقُّ عَزْلَهُ. وَنَصْبِ الْأَحْبَارِ وَالْحُكَّامِ وَالِدِّيَانِيِّينَ وَتَرْتِيبِ مَنَازِلِهِمْ بِحَسَبِ فِرَاسَتِهِمْ، وَسِيرِ أَمْنَانِيَّتِهِمْ (أَمَانِهِمْ) جَمِيعَ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى الْمُقَدَّمِ عَلَى جَمِيعِ الْيَهُودِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ، الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ رِضًا كَافَّةً مِنْ بَلِّ وَهُوَ الرَّائِسَ (الرَّائِسِ) الَّذِي مَنَزَلَتْهُ مَسْمَا بِرَائِسِ الْمَثِيبَةِ، وَقَلَدَهُ فِي ثُبُوتِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّ لَيْسَ لِلْيَهُودِ الرَّبَّانِيِّينَ مُخَالَفَةٌ وَلَا مُعَارَضَةٌ فِيمَا يَرَاهُ وَيَفْعَلُهُ وَفِيمَا يَتَقَوَّلُ مِنْهُ، وَأَنَّ لَهُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ أَوْ إِقْلِيمٍ مَنْ يَتَسَدَّدُ بِهِ فِي إِعْدَادِهِ النَّصْرَ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ يُطْلَبُ».

يُبرز هذا الالتماس إجراءات تعيين رئيس الطائفة المُهوديّة (النَّاجِد) بمصر خلال العَصْرِ الفَاطِمِيِّ، هذا فضلاً عما يُبيِّنُه من ضوابط وجوانب مهمة نحو هذا التَّعْيِينِ، منها:-

(1) Jacob Chereskin: «Heretics of the Dhimmi: Sectarianism, Karaite Jews and the Fatimid Caliphate», P.7-8

(2) Petition (Halper 354) (1036 AD / 426 AH)

أولاً: يقدم الجأؤون التماس إلى الخليفة الفاطمي؛ يطلب فيه تعيين الناجد، بما يُشير إلى أنه أولى من يتولى إجراءات هذا التعيين، وإعداده، فضلاً عما يُبينه ذلك من مكانة خاصة للجاؤون وعلو منزلته في الطائفة اليهودية خاصة، وفي المجتمع عامة، تسمح له بإعداد الطلبات التي يتم توجيهها إلى الخليفة الفاطمي مباشرة. كما يمكن الترحيح أن تولي الجأؤون لهذه المسألة قد ترتبط ارتباط وثيق بمسألة أخرى وهي كونه أحد المرتبطين باختيار من يتولى هذا المنصب الجليل فهو أرفع مناصب زعماء الطائفة اليهودية دون منازع، وقد قدم هذا الطلب بواسطة الجأؤون «شلمو بن يهودا ga'on Shelomo b. Yehuda»، إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله al-Mustanshirbillā (427-487هـ/1035-1094م)، في بداية عهده، يطلب تنصيب زعيم الطائفة اليهودية. ثانياً: كتابة طلب تعيين الناجد من خلال محكمة يهودية، يقوم فيها محضر المحكمة بتحريره، وضبطه وتدقيقه ومراجعته. وقد كتب بخط يد محضر المحكمة «يفيت بن دافيد شيخانيا»، عام (426هـ/1030م). ثالثاً: تسليم طلب تعيين الناجد إلى رئيس التجمع المقدسي في «الفسطاط»؛ حيث سلم هذا الطلب إلى «إفرايم بن شماريا هافر»، ويُعتبر هذا الرئيس أعلى منزلة ومكانة من الجأؤون، ويتصل عمله بتوجيه الخطابات الرسمية إلى السلطات الإسلامية، والحكومة الفاطمية، كما يتضح أن الجأؤون خضع لسلطته ونفوذه فضلاً عن محضر المحكمة اليهودية. رابعاً: وجوب اتفاق جميع أفراد طائفة الربانيين على اختيار الناجد، وأن يشهدوا على ذلك، وتكتب شهادتهم جمعاً وفرداً؛ وتوقيعاتهم كل بخطه في آخر طلب التعيين؛ فيما يذكره الإلتماس: «بَعْدَ مَا التَّمَسُّوا جَمِيعًا وَفُرَادَا أَنْ يَشْهَدُوا هَذِهِ الشَّهَادَةَ، قَالَ كُلُّ مِنْهُمْ مَنْ كَتَبَ شَهَادَتَهُ بِخَطِّهِ فِي آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ» خامساً: قراءة طلب التعيين على جميع أفراد الطائفة، بشكل يتح لهم معرفته وعقله والإشهاد على ما فيه؛ ويتضح ذلك بنص الإلتماس: «أَنَّ الَّذِي عَرَفُوهُ وَعَقَلُوهُ وَيَشْهَدُوا بِهِ فِي مَعْنَى تَقَدُّمِهِ الطَّائِفَةَ (الطَّائِفَةَ) الْمَعْرُوفَةَ بِالْيَهُودِ الرَّبَّانِيِّينَ (الرَّبَّانِيِّينَ)» سادساً: يقوم اختيار الناجد من أفراد الطائفة بعد أن يضع الجميع ثقتهم فيه، لحل جميع شكايهم وقضاياهم، وجميع ما يتصل بهم لما «وَضَعُوا خَطِّهُمْ (ثِقَتَهُمْ) فِيهِ»

سابعًا: أوضح الإلتِماس مهام رئيس الطائفة اليهودية (النَّاجِد)، وعدد طلب التَّعْيِين واجبات النَّاجِد، ومنها: جَمِيعَ قَضَايَا أَحْكَامِهِمْ عَلَى تَوَاصُلِ الْأَزْمَنَةِ وَنِكَاحَاتِهِمْ وَطَلَّاقَاتِهِمْ، وَإِرْدَاعِ الْمُفْرَطِ فِي شَيْءٍ مِنْ مُوجِبِ دِينِهِمْ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمَنْعِ (وَالنَّهْيِ) عَنِ الْمُنْكَرِ فِيهِمْ، وَإِبْعَادِ الْجَانِي بِالْحَرَامِ، وَحَلِّهِ مِنَ الْحَرَامِ، وَإِفْتَاءِ الْفِتَاوَى، وَدَرَسِ التَّوْبَةِ، وَنَصْبِ الْحَزَانِينَ فِي الْكِنَائِسِ الْمُصَلِينَ بِهِمْ، وَالذَّبَّاحِينَ (الْجَزَّارِينَ) فِي الْأَسْوَاقِ الْمُتَوَلِّينَ الدَّبِيحَةَ، وَعَزْلَ مَنْ يَسْتَحِقُّ عَزْلَهُ، وَنَصْبِ الْأَخْبَارِ وَالْحُكَّامِ وَالِدِّيَّانِينَ وَتَرْتِيبِ مَنَازِلِهِمْ بِحَسَبِ فَرَاغَتِهِمْ، وَسَيْرِ أَمَنَاتِهِمْ (أَمَانِيهِمْ) وَكَانَ «.. جَمِيعَ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى الْمُقَدَّمِ عَلَى جَمِيعِ الْيَهُودِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ، الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ رِضَا كَافَّةٍ مِنْهُمْ بَلْ وَهُوَ الرَّأْيِسَ (الرَّئِيسَ) الَّذِي مَنَزَلَتْهُ مَسَمًا بِرَأْسِ الْمَثْبُوتَةِ، وَقَلَدَهُ فِي ثُبُوتِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّ لَيْسَ لِلْيَهُودِ الرَّبَّانِينَ مُخَالَفَةٌ وَلَا مُعَارَضَةٌ فِيمَا يَرَاهُ وَيَفْعَلُهُ وَفِيمَا يَتَقَوْلُ مِنْهُ، وَأَنَّ لَهُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ أَوْ إِقْلِيمٍ مَنْ يَتَسَنَّدُ بِهِ فِي إِعْدَادِهِ النَّصْرَ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ يُطْلَبُ».

ثامنًا: التزام التفصيل والإيضاح والدقة في ترتيب طلب تعيين النَّاجِدِ شكلا ومضمونًا فيما يخص مهامه على وجه الخصوص، لما كان يجب على الطائفة اليهودية تقديمه إلى الخليفة الفاطمي، مبررًا فيه المهام التي يتصل عملها بالطائفة اليهودية فقط. ونلاحظ أن عدد من هذه المهام التي تولى النَّاجِدُ مباشرتها كانت خاصة، وذلك في مسألتين، الأولى: «نصب الذَّبَّاحِينَ (الْجَزَّارِينَ) فِي الْأَسْوَاقِ الْمُتَوَلِّينَ الدَّبِيحَةَ»؛ فيتَّضح أن ذلك كان يتم حسب الشريعة اليهودية، والتي يوجد بها اختلاف دقيق عما وَرَدَ في الشريعة الإسلامية؛ ولذا لزم التنبيه عليه وإيضاحه بتسجيل موضوعه بطلب التَّعْيِينِ، والثانية: «عَزْلَ مَنْ يَسْتَحِقُّ عَزْلَهُ» من أفراد الطائفة اليهودية المشتغلين بمهام وثيقة الصلة باليهود، ونعتقد أن المقصد في هذا الصدد هو ما خص به "نصب الأخبار والديانين".

#### خاتمة:

خرجت الدراسة بالعديد من النتائج المهمة، نوجز بعضها كالآتي:

أولاً: القيمة العلمية لوثائق جنيزة القاهرة في البحث العلمي التاريخي، وقدرتها على الإضافة إلى موضوعات عديدة ربما درس بعضها، لكن لا يزال البعض الآخر لم يدرس دراسة كاملة في ضوء هذه الوثائق، وهذه الدراسة دليل على ذلك؛ فهي تضيف معلومات وبيانات جديدة تفسر العديد من الوقائع، كما توضح الكثير من الحقائق.

ثانيًا: فضلًا عن مجلس النّظر في الشكاوى والالتماسات (المظالم) في ضوء وثائق جنيزة القاهرة خلال العصر الفاطمي، وهي نادرة ونفيسة، برز عدد منها بالدراسة، أظهرته كإدارة قضائية خاصة وجهة تحقيق مُستقلة للشكاوى والالتماسات عمومًا، واليهود خصوصًا، فيما يتعلق بالشكاوى والالتماسات المكتوبة باللغة العربيّة، المُقدّمة إلى الخلفاء. وقد دلّت هذه الوثائق على استخدام اليهود للمحاكم الإسلامية.

ملاحق الدراسة (لوحات الوثائق المخطوطة)

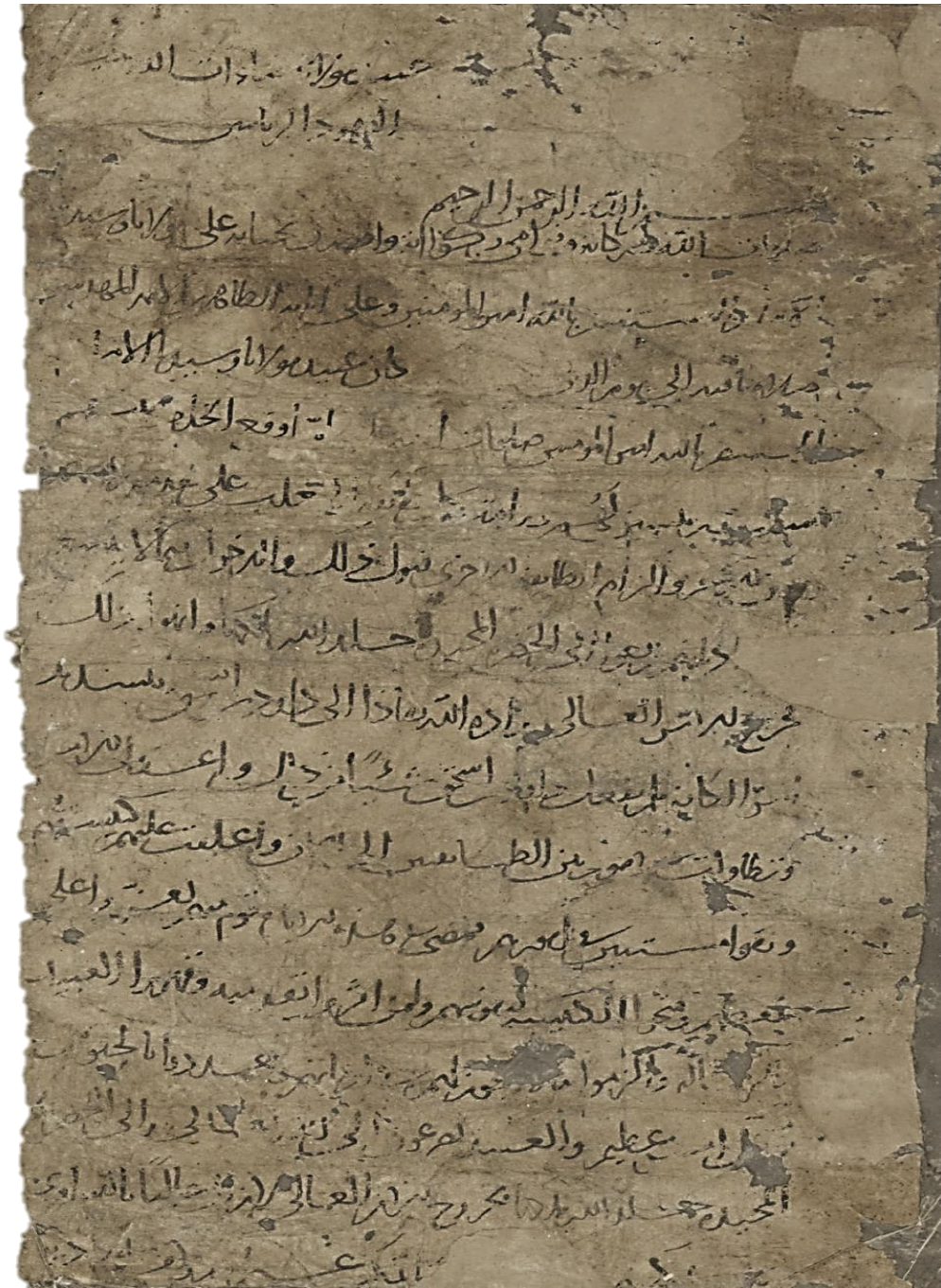
(وثيقة: 1) «شكوى Complaint»، زيادة الضرائب عام (420هـ/1030م)، رُفعت إلى الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (411-427هـ/1035-020م) في وزارة علي بن أحمد الجرجاني (12 ذو الحجة 418هـ-427هـ)؛ بخصوص الضريبة التي يتوجب على اليهود دفعها، ويشكون من نية زيادة الضرائب عليهم. المُتحدّث من اليهود هو اليهودي «سباح بن فرج Sibah b. Faraj».

رقم الوثيقة (ENA NS 18.26)، مصدر الوثيقة: مكتبة جامعة برينستون

موضعها بالأرشيف الرقمي: ([geniza.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=814](http://geniza.princeton.edu/pgpsearch/?a=object&id=814))

(Index Cards Manuscripts Cambridge, Card NO. 7070 , 7071), Moshe Gil: *Palestine During the First Muslim Period (634-1099)*, V. 2, p. 453-454, Doc. 249, ElinoarBareket, *Jews of Egypt 1007-1055* (Jerusalem: Ben-Zvi Institute, 1995), pp. 153 – 155.

ولعلنا الشائب فانعامه  
 ووئد السهل الملمد من الحصر المحيد وندك فينا  
 انناه سبغ فتح الهودب وطال الهودب الود  
 بطيه وان فيهم من يود ع جسد حدهم  
 سبغ وسبغ من عدهم وان فيهم من يد  
 الجيديه فكان هذا السبب الطعه فناو  
 ده في طنا ومطالبنا لاداعل الرضا او  
 وب ايدينا ان مدرس عده والله على ما يد كل



(وثيقة: 4) «التماس Petition»، (مؤرخ في 430هـ/1040م)، موجهة إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (427-487 هـ/1035-1094م)؛ يشكو فيه فصيل من اليهود (الربانيين) من سوء معاملتهم على يد فصيل آخر من اليهود (القرائين)

رقم الوثيقة (T-S Ar.30.278&MS Heb 18.21)، المصدر: مكتبة جامعة كامبريدج

الموضع بالأرشيف الرقمي: (cudl.lib.cam.ac.uk/view/MS-TS-AR-00030-00278)

S. M. Stern: «A Petition to the Fātimid Caliph al-Mustanṣir Concerning a Conflict within the Jewish Community», pp. 203–222. Moshe Gil: *Palestine During the First Muslim* (in Hebrew) (n.p., n.d.), vol. 2. Geoffrey Khan: *Arabic Legal and Period (634–1099) Administrative Documents in the Cambridge Genizah Collections*, p. 312.

## قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن الجوزي، (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي) المتوفي سنة 597هـ/1080م: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1358هـ/1939م.
- 2- ابن تغري بردي، (جمال الدين يوسف بن تغري بردي) المتوفي سنة 874هـ/1470م: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ط3، (1996م).
- 3- ابن ميسر، (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب) المتوفي سنة 677هـ/1278م: المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، (1981م).
- 4- أبو صالح الأرمي، (أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود) (عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي): تاريخ الكنائس والأديرة، إعداد وتعليق: الراهب صمويل السرياني، القاهرة، 1404هـ/1984م.
- 5- ساويرس ابن المقفع، أسقف الأشمونيين: تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية، المعروف ب: سير البيعة المقدسة، نشره: يسي عبد المسيح وعزيز سوريال عطية وأزولد بورمستر وأنطوان خاطر، جمعية الآثار القبطية، القاهرة، (1959 – 1974م).
- 6- القلقشندي، (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي) المتوفي سنة 821هـ/1418م: صُبْحُ الأَعشى في صناعة الإنشا، 1-14، دار الكتب المصرية، القاهرة، (1912 – 1938م).
- 7- الكندي، (أبو عمر محمد بن يوسف) المتوفي سنة 350هـ/961م: كتابالولاية وكتاب القضاة، نشره رفن جست، سلسلة جب التذكارية، بيروت، 1326هـ/1908م.
- 8- الماوردي، (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب) المتوفي سنة 450هـ/1058م: الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).
- 9- محمد بن حيون، (القاضي النُعمان بن محمد بن حيون) المتوفي سنة 363هـ/973م: المجالس والمسائرات، تحقيق: محمد اليعلاوي – الحبيب الفقي – إبراهيم شبوح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1398هـ/1978م.
- 10- المقريزي، (تقي الدين أحمد بن علي) المتوفي سنة 845هـ/1441م: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشَّيَال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (1967 – 1973م).
- 11- المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة (أو تاريخ المجاعات في مصر)، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشَّيَال، القاهرة، 1377هـ/1957م.
- 12- ناصر خسرو، (قام برحلته بين سنتي 437 – 444هـ / 1045 – 1052م): سَفَرُنامة، رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس، نقلها إلى العربية: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1414هـ/1993م.

- 13- يحيى بن سعيد الأنطاكي، (يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي) المتوفي سنة 458هـ/1066م: تاريخه، أو صلة كتاب أوتياخا، المسمى: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، تحقيق: لويس شيخو اليسوعي، مطبعة الآباء اليسوعية، بيروت، 1327هـ/1909م.
- 14- أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية: أسباب ونتائج، دار التضامن، ط1، 1409هـ/1988م.
- 15- أحمد زكريا زكي: «كنيس المصريين "الأستاذ" بحارة المهود بالقاهرة: دراسة تاريخية معمارية»، (مجلة رسالة المشرق، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، ربيع 1443هـ/2021م، مج36، العدد: 2).
- 16- أحمد زكريا زكي: «معبد رابي سمحاه بحارة المهود القرائين بالقاهرة: بحث في تاريخه القديم»، (مجلة رسالة المشرق، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، 1442هـ/2020م، مج35، العدد: 4).
- 17- ألفريد مورابيا: «يهود مصر في ظل الإسلام: من الفتح العربي إلى حملة بونابرت»، بحث منشور ضمن كتاب: (تاريخ يهود النيل)، تحرير: جاك جاسون، ترجمة: يوسف درويش، دار الشروق، القاهرة، 1428هـ/2007م.
- 18- جمال الدين الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية: وثائق الخلافة، وولاية العهد والوزارة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1422هـ/2002م.
- 19- حمد محمود عبد الحميد: الاغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 1422هـ/2001م).
- 20- حورية عبده عبد المجيد سلام: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط حتى العصر الفاطمي، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1391هـ/1971م).
- 21- خالد حسين محمود: «جوانب من التسامح وقضايا العيش المشترك بين المهود والمسلمين في المغرب الأدنى خلال عصري الفاطميين وبني زيدي»: 296-557هـ/908-1161م، (مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1431هـ/مارس 2009م، العدد: 17).
- 22- سمير عبدالله سليمان: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، (2006م).
- 23- عبد الرازق أحمد قنديل: «المعابد اليهودية في مصر»، (مجلة رسالة المشرق، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، 1995م).
- 24- عطية أحمد القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر: منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، [1396هـ/1976م].
- 25- علاء كامل العيساوي: «التركيبة السكانية للمجتمع المصري في عهد الدولة الفاطمية»، (مجلة الدراسات الجغرافية، العدد: 7، 1438هـ/2016م).
- 26- عماد صالح محمد: حقوق الإنسان في مصر في العهد الفاطمي، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1436هـ/2014م).

- 27- عيسى أحمد عيسى: «أسعار المواد الغذائية في مصر خلال العصر الفاطمي»، (المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، 1421هـ/ خريف 2000م، مج18، العدد: 72).
- 28- محمد أبو فارس: تاريخ القضاء في الإسلام، مكتبة الأقصى، عمان - الأردن، ط1، 1408هـ/ 1987م.
- 29- محمود أحمد هدية: «المُؤد بين التعايش السلمي والمشاركة الاقتصادية في العصر الفاطمي: تسامح الدولة واحتكارهم التجاري: قراءة جديدة في وثائق الجنيزة»، (مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجامعة الإسلامية، العدد: 50).

- 30- Bianquis, Th.: **Une Crise frumentaire dans L'Egypte fatimide**, JESHO XXIII, (1980)
- 31- Elinoar Bareket: «**The head of the Jews (Ra'is Al-Yahud) in Fatimid Egypt: A reevaluation**», (Bulletin of the school of oriental and African studies, UNIVERSITY OF LONDON, VOL. 67, NO. 2, 2004).
- 32- Fred Astren: **Review of Marina Rustow, Heresy and the Politics of Community: The Jews of the Fatimid Caliphate**, (Cornell University Press, 2008) in *The American Historical Review* 115:3 (June, 2010).
- 33- Geoffrey Khan: «**A Copy of a Decree from the Archives of the Fāṭimid Chancery in Egypt**», (Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol. 49, NO. 3, 1986).
- 34- Geoffrey Khan: «**On the Question of Script in Medieval Karaite Manuscripts: New Evidence from the Genizah**», (Bulletin of the John Rylands University Library of Manchester, NO. 753, Spring 1993).
- 35- Jacob Chereskin: «**Heretics of the Dhimmi: Sectarianism, Karaite Jews and the Fatimid Caliphate**», (Formation of Islam, October, 2016).
- 36- Jennifer Pruitt: «**Method in Madness: Reconsidering Church Destructions in the Fatimid Era**», (Muqarnas, An Annual on the Visual Cultures of the Islamic World, Celebrating Thirty Years of Muqarnas, Editor: Gülru Necipoğlu, Managing Editor: Karen A. Leal, Vol. 30, BRILL, LEDIN, BOSTON, 2013)
- 37- Lidia Zanetti Domingues: «**Petitions and strategies of persuasion**», (English Historical Review, Oxford University Press, 2020)
- 38- Marina Rustow: «**Fatimid State Documents**», (Jewish History, Springer Nature, B.V. 2019)
- 39- Marina Rustow: «**The Fatimid Petition**», (Jewish History, Springer Nature, NO. 32, B. V. 2019).

- 40- Mark R. Cohen: **“Jewish and Islamic Life in the Middle Ages :Through the Window of the Cairo Geniza”**, Joseph V. Montville, ed., History as Prelude Muslims and Jews in the Medieval Mediterranean (Lanham, MD Lexington Books, 2011).
- 41- Mark R. Cohen: **«On the Origins of the Office of Head of the Jews in the Fatimid Empire»**, (AJS Review, Vol. 4, 1979)
- 42- Mehmet Ali Buyukkara: **«Fatimid Imams and the people of the book (Ahl al-Kitab)»**, (HamdardIslamicus, Quarterly Journal of Studies and Research in Islam, Vol. 25, NO. 2, 2002)
- 43- Norman Golb: **«Legal documents from the Cairo Geniza»**, (INDIANA UNIVERSITY PRESS: Jewish Social Studies, VOL. 20, NO. 1, January: 1958).
- 44- S. D. Goitein: **«New Sources on the Palestinian Gaonate»**, (New York: Columbia University Press, 1974).
- 45- S. D. Goitein: **«Petitions to Fatimid Caliphs from the Cairo Geniza»**, (The Jewish Quarterly Review, Published by: University of Pennsylvania Press, Vol. 45, No. 1, Jul., 1954).
- 46- S. M. Stern.: **Fatimid Decrees**, London, (1964).
- 47- S.D. Goitein: **“Religion in Everyday Life as Reflected in the Documents of the Cairo Geniza”**, (S.D. Goitein, ed., Religion in a Religious Age, Cambridge, MA Association for Jewish Studies, 1974)
- 48- S.D. Goitein: **«Seminar on Selected Geniza Texts»**, (S.D. Goitein, ed., Religion in a Religious Age, Cambridge, MA Association for Jewish Studies, 1974).
- 49- S.D. Goitein: **«Urban Housing in Fatimid and Ayyubid Times As Illustrated by the Cairo Geniza Documents»**, (StudialIslamica, NO. 47, 1978)
- 50- S.D. Goitein: **Jews and Arabs**, New York, (1955).
- 51- Shainooljiwa: **«FĀTIMID -BŪYID DIPLOMACY DURING THE REGIN OF AL’AZĪZ BILLĀH: 365-386/975-996»**, (Journal of Islamic Studies, The Institute Of Islamic Studies, 1992).
- 52- StephanePradines: **“Identity and Architecture: The Fatimid Walls in Cairo”**, (Earthen Architecture in Muslim Cultures, 2018).





DOI Prefix:10.33685/1316

جميع الحقوق محفوظة © لمركز جيل البحث العلمي